

يقول تعالى مجيئاً لعبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام فيما أنباه اليه من التبري من النصارى الملحدين الكاذبين على الله وعلى رسوله ومن رد المشيئة فيهم إلى ربه عز وجل فعند ذلك يقول تعالى ( هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ) قال الضحاك عن ابن عباس يقول يوم ينفع الموحدين توحيدهم ( لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداً ) أى ما كشيئ فيها لا يحولون ولا يزولون رضى الله عنهم ورضوا عنه كما قال تعالى ( ورضوان من الله أكبر ) وسيأتى ما يتعلق بتلك الآية من الحديث وروى ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً عن أنس فقال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا المخاري عن ليث عن عثمان يعني ابن عمير أخبرنا اليقظان عن أنس مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ فيه « ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله فيقول سلونى سلونى أعطكم - قال - فيسألونه الرضا فيقول رضى أحلكم دارى وأنا لكم كرامتى فسلونى أعطكم فيسألونه الرضا - قال - فيشهدهم أنه قد رضى عنهم سبحانه وتعالى » وقوله ( ذلك الفوز العظيم ) أى هذا الفوز الكبير الذى لأعظم منه كما قال تعالى ( لمثل هذا فليعمل العاملون ) وكما قال ( وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ) وقوله ( لله ملك السموات والأرض وما بين وهوى كل شيء قدير ) أى هو الخالق للأشياء المالك لها المتصرف فيها القادر عليها الجامع ملكه وتحت قهره وقدرته وفى مشيئته فلا زلزاله ولا وزير ولا عدل ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ولا إله غيره ولا رب سواه . قال ابن وهب سمعت حبي بن عبد الله يحدث عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة

### ( تفسير سورة الأنعام وهى مكية )

قال العوفي وعكرمة وعطاء عن ابن عباس أنزلت سورة الأنعام بمكة . وقال الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الأنعام بمكة ليلة جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح . وقال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت نزلت سورة الأنعام على النبي ﷺ جملة وأنا آخذة بزمام ناقه النبي صلى الله عليه وسلم إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة . وقال شريك عن ليث عن شهر عن أسماء قالت نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ وهو فى مسير فى زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والأرض . وقال السدى عن مرة عن عبد الله قال نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة وروى نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود . وقال الحاكم فى مستدركه حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدى أخبرنا جعفر بن عون حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن السدى حدثنا محمد بن النسكر عن جابر قال لما نزلت سورة الأنعام سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « لقد شيع هذه السورة من الملائكة ماسد الأفق » ثم قال صحيح على شرط مسلم . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا إبراهيم بن درستويه الفارسى حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم حدثنا ابن أبي فديك حدثنى عمر بن طلحة الرقاشى عن نافع بن مالك بن أبي سهيل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الحاققين لهم زجل بالتسبيح والأرض بهم ترتج » ورسول الله يقول « سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم » ثم روى ابن مردويه عن الطبرانى عن إبراهيم بن نائلة عن إسماعيل بن عمر عن يوسف ابن عطية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « نزلت على سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد »

### ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ \* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ \* وَهُوَ اللَّهُ

فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿١﴾  
 يقول الله تعالى مادحا نفسه الكريمة وحامدا لها على خلقه السموات والأرض قرارا لعباده . وجعل الظلمات والنور  
 منفعة لعباده في ليالهم ونهارهم فجمع لفظ الظلمات ووجد لفظ النور لكونه أشرف كقوله تعالى ( عن اليمين والشمال )  
 وكما قال في آخر هذه السورة ( وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) ثم قال تعالى  
 ( ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ) أى ومع هذا كله كفر به بعض عباده وجعلوا له شريكا وعدلا واتخذوا له صاحبة  
 وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا . وقوله تعالى ( هو الذى خلقكم من طين ) يعنى أباهم آدم الذى هو أصلهم  
 ومنه خرجوا فانتشروا فى المشارق والمغرب وقوله ( ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ) قال سعيد بن جبير عن ابن  
 عباس ( ثم قضى أجلا ) يعنى الموت ( وأجل مسمى عنده ) يعنى الآخرة وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير  
 والحسن وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم وعطية والسدى ومقاتل بن حيان وغيرهم وقول الحسن فى رواية عنه ( ثم  
 قضى أجلا ) وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت ( وأجل مسمى عنده ) وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث  
 هو يرجع إلى ما تقدم وهو تقدير الأجل الخاص وهو عمر كل إنسان وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكاملها ثم  
 انتهائها واقضائها وزوالها وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة وعن ابن عباس ومجاهد ( ثم قضى أجلا ) يعنى مدة الدنيا  
 وأجل مسمى عنده ) يعنى عمر الإنسان إلى حين موته وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا ( وهو الذى يتوفاكم بالليل  
 ويعلم ما جرحتم بالنهار ) الآية وقال عطية عن ابن عباس ( ثم قضى أجلا ) يعنى النوم يقبض فيه الروح ثم يرجع إلى صاحبه  
 عند اليقظة ( وأجل مسمى عنده ) يعنى أجل موت الإنسان وهذا قول غريب ومعنى قوله ( عنده ) أى لا يعلمه إلا هو  
 كقوله ( إنما علمها عند ربى لا يحلها لوقتها إلا هو ) وكقوله ( بسألونك عن الساعة أيا نمرساها فم أنت من ذكراها  
 إلى ربك منتهاها ) وقوله تعالى ( ثم أتممتمون ) قال السدى وغيره يعنى تشكون فى أمر الساعة وقوله تعالى ( وهو الله فى  
 السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ) اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول  
 الجهمية الأول القائلين تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه فى كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله  
 فى السموات وفى الأرض أى يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من فى السموات ومن فى الأرض ويسمونه الله ويدعونه  
 رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى ( وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض  
 إله ) أى هو إله من فى السماء وإله من فى الأرض وعلى هذا فىكون قوله ( يعلم سركم وجهركم ) خبرا أو حالا ( والقول  
 الثانى ) أن المراد أنه الله الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض من سر وجهركم فىكون قوله يعلم متعلقا بقوله ( فى  
 السموات وفى الأرض ) تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الأرض ويعلم ما تكسبون والقول  
 الثالث أن قوله ( وهو الله فى السموات ) وقف تام ثم أستأنف الخبر فقال ( وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ) وهذا اختيار ابن  
 جرير وقوله ( ويعلم ما تكسبون ) أى جميع أعمالكم خيرها وشرها

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ \* فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ  
 يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَالَهُمْ  
 فِيمَا كَانُوا لَهُمْ إِنْ يَرِئُوا مِنْ آيَاتِنَا إِلَّا كَأَنَّ الْأَشْيَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْزَلَ مُدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا  
 مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين أنهم كلما أتتهم من آية أى دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات على وحدانية  
 الله وصدق رسله الكرام فانهم يعرضون عنها فلا ينظرون إليها ولا يباليون بها قال الله تعالى ( فقد كذبوا بالحق لما جاءهم

فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ( وهذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب وليجدن غبه وليذوقن وبالتهتم قال تعالى واعظا لهم ومحدرا لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الذي نرى ما حل بأشباههم ونظرانهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا وأكثر أموالا وأولادا واستعلاء في الأرض وعمارة لها فقال ( ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ) أى من الأموال والأولاد والأعمار والجاه العريض والسعة والجنود ولهذا قال ( وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ) أى شيئا بعد شيء ( وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ) أى أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض أى استدراجا وإملاء لهم ( فأهلكناهم بذنوبهم ) أى بخطيئهم وسيئاتهم التي اجتموها ( وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ) أى فذهب الأولون كأسس الزناهب وجعلناهم أحاديث ( وأنشأنا من بعدهم قوما آخرين ) أى جيلا آخر لختبرهم فعملوا مثل أعمالهم فأهلكوا كإهلاكهم فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم فإنتم بأعز على الله منهم والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسوله فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ \* وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ \* وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ \* وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرَسُولٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتتهم ومنازعتهم فيه ( ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم ) أى عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك لقال ( الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ) وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكابرتهم للحسوسات ( ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ) وكقوله تعالى ( وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مرقوم ) ( وقالوا لولا أنزل عليه ملك ) أى ليكون معه نذيراً قال الله تعالى ( ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ) أى لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاهم من الله العذاب كما قال الله تعالى ( ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ) وقوله ( يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ) الآية وقوله تعالى ( ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ) أى ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا أى لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليتمكن مخاطبته والاتفاق بالأخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري كقوله تعالى ( قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ) فمن رحمته تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلا منهم ليدعو بعضهم بعضا وليمكن بعضهم أن يفتضح ببعض في الخطبة والسؤال كما قال تعالى ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ) الآية قال الضحاك عن ابن عباس في الآية يقول لو أناهم ملك ما أناهم إلا في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور ( وللبسنا عليهم ما يلبسون ) أى وخلقنا عليهم ما يخلطون وقال الوابي عنه ولشبهنا عليهم وقوله ( ولقد استهزىء برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ) هذه تسليية للنبي ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ووعده له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى ( قل سيرا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ) أى فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله

بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوه من العذاب والسكال والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين

﴿ قُلْ لَمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آتِخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطِمْ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيهما وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة كما ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي » وقوله ( ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ) هذه اللام هي الموطئة للقسم فأقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده ( إلى ميقات يوم معلوم ) وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه أى لا شك عند عباده المؤمنين فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عقبة حدثنا عباس بن محمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا محسن بن عقبة الجاني عن الزبير بن شبيب عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس قال سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء قال « والذي نفسى بيده إن فيه ماء ، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء » هذا حديث غريب وفي الترمذى « إن لكل نبي حوضاً وأرجو أن أكون أكثرهم واردة » وقوله ( الذين خسروا أنفسهم ) أى يوم القيامة ( فهم لا يؤمنون ) أى لا يصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم ثم قال تعالى ( وله ما سكن في الليل والنهار ) أى كل دابة في السموات والأرض الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتصرفه وتديره لإله الإله ( وهو السميع العليم ) أى السميع لأقوال عباده. العليم بحركاتهم وضائهم وسرائرهم ثم قال تعالى لعبيده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم وأمره أن يدعو الناس إلى صراط الله المستقيم ( قل أغير الله أتخذ ولياً في السموات والأرض ) كقوله ( قل أفسير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ) والمعنى لا أتخذ ولياً إلا الله وحده لا شريك له فإنه فاطر السموات والأرض أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق ( وهو يطعم ولا يطعم ) أى لا يأتى كل وفى حديث سهل بن أبي صالح الجن والإنس إلا ليعبدون الآية وقرأ بعضهم ها هنا ( وهو يطعم ولا يطعم ) أى لا يأتى كل وفى حديث سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم على طعام فأنطلقنا معه فلما طعم النبي صلى الله عليه وسلم وغسل يديه قال « الحمد لله الذى يطعم ولا يطعم ومن علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا من الشراب وكسانا من العزى وكل بلاد حسن أبلانا . الحمد لله غير مودع ربي ولا مكنتي ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذى أطعمنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العزى وهدانا من الضلال وبصرنا من العمى وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً الحمد لله رب العالمين » ( قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ) أى من هذه الأمة ( ولا تكونن من المشركين ) قل إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ( يعنى يوم القيامة ) ( من يصرف عنه ) أى العذاب ( يومئذ فقد رحمه الله ) ( وذلك هو الفوز المبين ) كقوله ( فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ) والفوز حصول الرجوع ونفي الخسارة

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَهُوَ  
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ \* قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ  
إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أُنْذِرْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ  
إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ \* الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا  
أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

يقول تعالى محضراً أنه مالك الضر والنفع وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه ( وإن  
يمسكك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسكك بخير فهو كل شيء قدير ) كقوله تعالى ( ما يفتح الله للناس من  
رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ) الآية وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم لا مانع  
لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » ولهذا قال تعالى ( وهو القاهر فوق عباده ) أى هو  
الذى خضعت له الرقاب ودلت له الجبابرة (١) وعتت له الوجوه وقهر كل شيء ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله  
وكبريائه وعظمته وعالوه وقدرته على الأشياء واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه ( وهو الحكيم ) أى  
في جميع أفعاله ( الخبير ) بمواضع الأشياء ومحالها فلا يعطى إلا من يستحق ولا يمنع إلا من يستحق ثم قال ( قل أى شيء  
أكبر شهادة ) أى من أعظم الأشياء شهادة ( قل الله شهيد بيني وبينكم ) أى هو العالم بما جئتم به وما أتم قائلون لى ( وأوحى  
إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ) أى وهو نذير لكل من بلغه كقوله تعالى ( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار  
موعده ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن  
كعب في قوله ( ومن بلغ ) من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ زاد أبو خالد وكله . ورواه ابن جرير من طريق  
أبي معشر عن محمد بن كعب قال من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرزاق عن معمر عن  
قنادة في قوله تعالى ( لأنذركم به ومن بلغ ) إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بلغوا عن الله فمن بلغته آية من  
كتاب الله فقد بلغه أمر الله » وقال الربيع بن أنس حق على من اتبع رسول الله ﷺ أن يدعو كالذى دعا رسول  
الله ﷺ وأن ينذر بالذى أنذر وقوله ( أنتم لتشهدون ) أيها المشركون ( أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد )  
كقوله ( فإن شهدوا فلا تشهد معهم ) ( قل إنما هو إله واحد وإنى بريء مما تشركون ) ثم قال تعالى مخبراً عن أهل  
الكتاب أنهم يعرفون هذا الذى جئتم به كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار والأنباء عن المرسلين المتقدمين والأنبياء  
فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد ﷺ ونعته (١) وصفته وبلده ومهاجره وصفة أمته ولهذا قال بعده ( الذين خسروا  
أنفسهم ) أى خسروا كل الحسارة ( فهم لا يؤمنون ) بهذا الأمر الجلى الظاهر الذى بشرت به الأنبياء ونوهت به فى  
قديم الزمان وحديثه ثم قال ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته ) أى لا أظلم ممن تقول على الله فادعى أن  
الله أرسله ولم يكن أرسله ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته ( إنه لا يفلح الظالمون ) أى لا يفلح  
هذا ولا هذا لا المفتري ولا المكذب

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ \* ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتنتههم  
إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ \* أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \*  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا ءَايَةً لَا يُؤْمِنُوهَا

(١) فى المكية الجبابرة . (١) فى الأمرية : ومثله .

بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَ وَكَ يُجَدِّ لُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٧﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين (يوم نحشرهم جميعاً) يوم القيامة فيسألهم عن الأصنام والأنداد التي كانوا يعبدونها من دونه قائلهم (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) كقوله تعالى في سورة القصص (ويوم يناديهم فيقول أين شركاؤى الذين كنتم تزعمون) وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) أى حجبتهم إلا أن قالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) قال الضحاك عن ابن عباس (ثم لم تكن فتنتهم) أى حجبتهم. وقال عطاء الخراسانى عنه أى معذرتهم وكذا قال قتادة وقال ابن جريج عن ابن عباس: أى قيلهم وكذا قال الضحاك وقال عطاء الخراسانى (ثم لم تكن فتنتهم) بليتهم حين ابتلوا (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال ابن جرير والصواب ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم اعتذاراً عما سلف منهم من الشرك بالله (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازى عن عمرو بن أبى قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال يا ابن عباس سمعت الله يقول (والله ربنا ما كنا مشركين) قال أما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة فقالوا تعالوا فلنجحد فيجحدون فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتبون الله حديثاً فهل فى قلبك الآن شيء؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا ونزل فيه شيء ولكن لا تعلمون وجهه. وقال الضحاك عن ابن عباس هذه فى المناققين وفيه نظر فان هذه الآية مكية والمناققون إنما كانوا بالمدينة والى نزلت فى المناققين آية المجادلة (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له) الآية وهكذا قال فى حق هؤلاء (انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) كقوله (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) الآية. وقوله (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى يجيئون ليستمعوا قراءتك ولا تجزى عنهم شيئاً لأن الله (جعل على قلوبهم أكنة) أى أغطية لئلا يفقهوا القرآن (وفى آذانهم وقرا) أى صمما عن السماع النافع لهم كما قال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) الآية. وقوله (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى مهمما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البينات والبراهين لا يؤمنوا بها فلا فهم عندهم ولا إنصاف كقوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) الآية وقوله تعالى (حتى إذا جاءوك يجادلونك) أى يحاجونك وينظرونك فى الحق بالباطل (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) أى ما هذا الذى جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم وقوله (وهم ينهون عنه وينأون عنه) فى معنى ينهون عنه قولان (أحدهما) أن المراد أنهم ينهون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول والالتقاد للقرآن (وينأون عنه) أى ويبعدون هم عنه فيجمعون بين الفعلين القبيحين لا ينتفعون ولا يدعون أحداً ينتفع قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وهم ينهون عنه) يردون الناس عن محمد ﷺ أن يؤمنوا به. وقال محمد بن الحنفية كان كفار قريش لا يأتون النبي ﷺ وينهون عنه وكذا قال قتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد وهذا القول أظهر والله أعلم وهو اختيار ابن جرير (والقول الثانى) رواه سفيان الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عمن سمع ابن عباس يقول فى قوله (وهم ينهون عنه) قال نزلت فى أبى طالب كان ينهى الناس عن النبي ﷺ أن يؤذى وكذا قال القاسم بن مخيمرة وحبيب بن أبى ثابت وعطاء بن دينار وغيره أنها نزلت فى أبى طالب وقال سعيد بن أبى هلال نزلت فى عمومة النبي ﷺ وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس معه فى العلانية وأشد الناس عليه فى السر رواه ابن أبى حاتم، وقال محمد بن كعب القرظى (وهم ينهون عنه) أى ينهون الناس عن قتله وقوله (وينأون عنه) أى يتباعدون منه (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) أى وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعودوا به إلا عليهم وهم لا يشعرون

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِبَيِّنَاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ \* وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

يذكر تعالى حال الكفار إذا وقفوا يوم القيامة على النار وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال فعند ذلك قالوا ( ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ) يتمنون أن يردوا إلى الدار الدنيا ليعملوا عملا صالحا ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين قال الله تعالى ( بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ) أي بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاناة وإن أنكروها في الدنيا أو في الآخرة كما قال قبله بيسير ( ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم ) ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءتهم به الرسل في الدنيا وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه كقوله مخبرا عن موسى أنه قال لفرعون ( لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ) الآية وقوله تعالى مخبرا عن فرعون وقومه ( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ) ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان للناس ويبطنون الكفر ويكون هذا إخبارا عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار ولا ينافي في هذا كون هذه السورة مكية والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة مكية وهي العنكبوت فقال ( وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ) وعلى هذا فيكون إخباراً عن قول المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون العذاب فظهر لهم حينئذ غيب ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق والله أعلم وأما معنى الإضراب في قوله ( بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ) فانهم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبة ومحبة في الإيمان بل خوفاً من العذاب الذي عاينوه جزاء على ما كانوا عليه من الكفر فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا بما شاهدوا من النار ولهذا قال ( ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ) أي في طلبهم الرجعة رغبة ومحبة في الإيمان ثم قال مخبرا عنهم أنهم لوردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمخالفة ( وإنهم لكاذبون ) أي في قولهم ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وقالوا إن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ أَي لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ، ثم قال ( ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ) أي أوقفوا بين يديه قال ( أليس هذا بالحق ؟ ) أي أليس هذا المعاد بحق وليس يبطل كما كنتم تظنون ( قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) أي بما كنتم تكذبون به فذوقوا اليوم مسه ( أفسح هذا أم أتم لا تبصرون )

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ \* وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن خسار من كذب بلفائه وعن خيبته إذا جاءت الساعَةُ بَغْتَةً وعن ندامته على ما فرط من العمل وما أسلف من قبيح الفعل ولهذا قال ( حتى إذا جاءتهم الساعَةُ بَغْتَةً قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ) وهذا الضمير يحتمل

عوده على الحياة وعلى الأعمال وعلى الدار الآخرة أى فى أمرها وقوله ( وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون ) أى يحملون وقال قتادة يعملون ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو ابن قيس عن أبى مرزوق قال يستقبل الكافر أو الفاجر عند خروجه من قبره كأقبح صورته وأيتها وأنته ريحاً فيقول من أنت فيقول أو ما تعرفنى فيقول لا والله إلا أن الله قبح وجهك وأنتن ريحك فيقول أنا عملك الحيث هكذا . كنت فى الدنيا خبيث العمل منتنه فظالمما ركبتنى فى الدنيا هلم أركبك فهو قوله ( وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ) الآية ، وقال أسباط عن السدى انه قال : ليس من رجل ظالم يدخل قبره إلا جاءه رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح وعليه ثياب دنسة حتى يدخل معه قبره فإذا رآه قال ما أقبح وجهك قال كذلك كان عملك قبيحاً قال ما أنتن ريحك قال كذلك كان عملك منتنا ، قال ما أدنس ثيابك ، قال فيقول إن عملك كان دنساً ، قال له من أنت ؟ قال عملك ، قال فيكون معه فى قبره فإذا بعث يوم القيامة قال له : إني كنت أحملك فى الدنيا بالذات والشهوات وأنت اليوم تحملنى ، قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله ( وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون ) وقوله ( وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ) أى إنما غالبها كذلك ( وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون )

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُوبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَثَايِتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ \* وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنفُسُهُمْ فَضَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ \* وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِبَايَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ \* إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى مسلماً لنبىه صلى الله عليه وسلم فى تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه ( قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ) أى قد أحطنا علماً بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم كقوله ( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ) كما قال تعالى فى الآية الأخرى ( لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ) ( فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ) وقوله ( فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) أى لا يهتمونك بالكذب فى نفس الأمر ( ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) أى ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم كما قال سفيان الثورى عن أبى إسحق عن ناجية بن كعب عن على قال : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله ( فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) ورواه الحاكم من طريق إسرائيل عن أبى إسحق ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن الوزير الواسطى بمكة حدثنا بشر بن البشر الواسطى عن سلام بن مسكين عن أبى يزيد المدنى أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا جهل فصافحه فقال له رجل ألا أراك تصافح هذا الصابى ؟ فقال والله إني لأعلم إنه لنبى ولكن متى كنا لنبى عبد مناف تبعاً ؟ وتلا أبو يزيد ( فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) وقال أبو صالح وقتادة يعملون أنك رسول الله ويجحدون ، وذكر محمد بن إسحق عن الزهرى فى قصة أبى جهل حين جاء يستمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم من الليل هو وأبو سفيان صخر بن حرب والأخنس بن شريق ولا يشعر أحد منهم بالآخر فاستمعوها إلى الصباح فلما هجم الصبح تفرقوا فجمعهم الطريق فقال كل منهم للآخر ما جاء بك ؟ فذكر له ما جاء به ثم تعاهدوا أن لا يعودوا أن لا يخافون من علم شباب قريش بهم لكلا يفتنوا بمجيئهم ، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظناً أن صاحبه لا يجيئان لما سبق من اليهود فلما أصبحوا جمعهم الطريق

فتلاوموا ثم تعاهدوا أن لا يعودوا فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضاً فلما أصبحوا تعاهدوا أن لا يعودوا لمثلها ثم تفرقوا فلما أصبح الأحنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفيان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أباحنظلة عن رأيتك فيما سمعت من محمد قال يا أبانعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها وما يراد بها ، قال الأحنس وأنا والذي حلفت به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال ماذا سمعت ؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحي من السماء فنتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدق ، قال فقام عنه الأحنس وتركه .

وروى ابن جرير من طريق أسباط عن السدي في قوله (قد تعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) لما كان يوم بدر قال الأحنس بن شريق لبنى زهرة يا بنى زهرة إن محمداً ابن أختكم فأتم أحق من ذب عن ابن أخته فإنه إن كان نبياً لم تقاتلوه اليوم وإن كان كاذباً كنتم أحق من كف عن ابن أخته ، فقوا حتى ألقى أبا الحكم فان غلب محمد رجعت سالمين ، وإن غلب محمد فإن قومكم لم يصنعوا بكم شيئاً - فيومئذ سمى الأحنس وكان اسمه أبنى - فالتقى الأحنس وأبو جهل فخللا الأحنس بأبي جهل فقال يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يستمع كلامنا ؟ فقال أبو جهل ويحك والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنو قصى باللواء والسقاية والحجابه والنبوة فإذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فآيات الله محمد ﷺ

وقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبوا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه ، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ووعد له بالنصر كما نصروا ، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة ولهذا قال (ولا مبدل لكلمات الله) أى التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال (ولقد سبقت كلتنا لعبادنا المرسلين \* إنهم لهم المنصورون \* وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقوله (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أى من خبرهم كيف نصرنا وأيدوا على من كذبهم من قومهم فلك فيهم أسوة وبهم قدوة . ثم قال تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم) أى إن كان شق عليك إعراضهم عنك (فإن استطعت أن تبنتى نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الفق السرب فتذهب فيه فتأتيهم بآية أو تجعل لك سلماً في السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية أفضل مما آتيتهم به فافعل ، وكذا قال قتادة والسدي وغيرهما وقوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) كقوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) قال إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، وقوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون) أى إنما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه كقوله (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) وقوله (والموتى يعثمهم الله ثم إليه يرجعون) يعنى بذلك الكفار لأنهم موتى القلوب فشبهم الله بموت الأجساد فقال (والموتى يعثمهم الله ثم إليه يرجعون) وهذا من باب التهمك بهم والازراء عليهم

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ مُمَاتَلِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾

يُحْشِرُونَ\* وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه أى خارق على مقتضى ما كانوا يريدون وما يتعتون كقولهم ( لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ) الآيات ( قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ) أى هو تعالى قادر على ذلك ولكن حكمته تعالى تقتضى تأخير ذلك لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا لما جلدتهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة كما قال تعالى ( وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ) وقال تعالى ( إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلمت أعناقهم لها خاضعين ) وقوله ( وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ) قال مجاهد: أى أصناف مصنفة تعرف بأسمائها . وقال قتادة : الطير أمة والإنس أمة والجن أمة وقال السدى ( إلا أمم أمثالكم ) أى خلق أمثالكم وقوله ( ما فرطنا فى الكتاب من شيء ) أى الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحدا من جميعها من رزقه وتديره سواء كان برياً أو بحراً كقوله ( وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ) أى مفسح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها وقال تعالى ( وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ) وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن الثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسى أبو عباد حدثنى محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قل الجراد فى سنة من سنى عمر رضى الله عنه التى ولى فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاعتم لذلك فأرسل راكباً إلى كذا وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل روى من الجراد شيء أم لا ؟ قال فأتاه راكب الراكب الذى من قبل اليمين بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ( خلق الله عز وجل ألف أمة منها ستائة فى البحر وأربعمائة فى البر وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تابعت مثل النظام إذا قطع سلكه ) وقوله ( ثم إلى ربهم يحشرون ) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ( ثم إلى ربهم يحشرون ) قال حشرها الموت وكذا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل عن سعيد عن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس قال موت البهائم حشرها وكذا رواه العوفى عنه قال ابن أبى حاتم وروى عن مجاهد والضحاك مثله ( والقول الثانى ) إن حشرها هو بعثها يوم القيامة لقوله ( وإذا الوحوش حشرت ) وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان عن منذر الثورى عن أشياخ لهم عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال « بأبأذ هل تدرى فيم تنتطحان ؟ » قال لا قال « لكن الله يدرى وسيقضى بينهما » ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن ذكروه عن أبى ذر قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انتطحنت عنزان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون فيم انتطحنتا ؟ » قالوا لا ندرى قال « لكن الله يدرى وسيقضى بينهما » رواه ابن جرير ثم رواه من طريق منذر الثورى عن أبى ذر فذكره وزاد قال أبو ذر ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقرب طائر جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علما وقال عبد الله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه حدثنى عباس بن محمد وأبو يحيى البزار قال حدثنا حجاج بن نصير حدثنا شعبة عن العوام بن مزاحم من بنى قيس بن ثعلبة عن أبى عثمان النهدى عن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم بن الأصب عن أبى هريرة فى قوله ( إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ) قال يحشر الحلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوفى تراباً فلذلك يقول الكافر ( يا ليتنى كنت تراباً ) وقد روى هذا مرفوعاً فى حديث الصور

وقوله ( والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات ) أى مثلهم فى جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو

الذى لا يسمع أبكم وهو الذى لا يتكلم وهو مع هذا فى ظلمات لا يبصر فكيف يهتدى مثل هذا إلى الطريق أو يخرج مما هو فيه كقوله ( مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون \* صم بكم عمى فهم لا يرجعون ) وكما قال تعالى ( أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور) ولهذا قال ( من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ) أى هو المتصرف فى خلقه بما يشاء

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ كُمُ إِذَا تَدْعُونَ اللَّهَ تَدْعُونَ أَوْ تَدْعُونَ اللَّهَ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* بَلْ يَأْتِيهِمْ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ \* فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يخبر تعالى أنه الفعال لما يريد المتصرف فى خلقه بما يشاء وأنه لا معقب لحكمه ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه بل هو وحده لا شريك له الذى إذا سئل يحيب لمن يشاء ولهذا قال ( قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة ) أى أتاكم هذا أو هذا ( أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ) أى لا تدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على رفع ذلك سواه ولهذا قال ( إن كنتم صادقين ) أى فى اتخاذكم آلهة معه ( بل إياه تدعون فى كشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ) أى فى وقت الضرورة لا تدعون أحدا سواه وتذهب عنكم أصنامكم وأننادكم كقوله ( وإذا مسكم الضربة فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ) الآية وقوله ( ولقد أرسلنا إلى أمة من قبلك فأخذناهم بالبأساء ) أى الفقر والضيقة فى العيش ( والضراء ) وهى الأمراض والأسقام والآلام ( لعلمهم يتضرعون ) أى يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون ، قال الله تعالى ( فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ) أى فهلا إذ ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكوا لدينا ولكن قست قلوبهم ) أى مارقت ولا خشعت ( وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ) أى من الشرك والمعاندة والمعاصى ( فلما نسوا ما ذكروا به ) أى عرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم ( فتحنا عليهم أبواب كل شيء ) أى فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم ، عيادا بالله من مكره ، ولهذا قال ( حتى إذا فرحوا بما أوتوا ) أى من الأموال والأولاد والأرزاق ( أخذناهم بغتة ) أى على غفلة ( فإذا هم مبلسون ) أى آيسون من كل خير قال الواهب عن ابن عباس المبلس: الآيس ، وقال الحسن البصرى من وسع الله عليه فلم ير أنه مكره به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأى له ثم قرأ ( فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ) قال مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا ، رواه ابن أبي حاتم ، وقال قتادة بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وعرثهم ونعمتهم فلا تعتروا بالله فانه لا يفتر بالله إلا القوم الفاسقون رواه ابن أبي حاتم أيضا

وقال مالك عن الزهري ( فتحنا عليهم أبواب كل شيء ) قال رخاء الدنيا ويسرها ، وقد قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين - يعنى ابن سعد أبا الحجاج المهري - عن حرمة بن عمران التميمي عن عقبة بن مسلم عن عقبة ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج » ثم تلا رسول الله ﷺ ( فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا

أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حرملة وابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عراك بن خالد بن يزيد حدثني أبي عن إبراهيم ابن أبي عبله عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ كان يقول : إذا أراد الله بقوم بقاء أو نناء رزقهم القصد والعفاف وإذا أراد الله بقوم اقتطاعاً فتح لهم - أو فتح عليهم - باب خيانة (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) كما قال (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ورواه أحمد وغيره

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَنْ هُمْ يَصْدِفُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهِنَّاكَ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ \* وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمْشِيهِمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المكذبين العاندين (أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أي سلبكم إياها كما أعطى كمها . كما قال تعالى (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار) الآية ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي ولهذا قال (وختم على قلوبكم) كما قال (أمن بملك السمع والأبصار) وقال (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وقوله (من إله غير الله يأتيكم به) أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك اليكم إذا سلبه الله منكم لا يقدر على ذلك أحد سواه ولهذا قال (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبينا ونوضحها ونفسرها دالة على أنه لا إله إلا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال (ثم هم يصدفون) أي ثم هم مع هذا البيان يصدفون أي يعرضون عن الحق ويصدون الناس عن اتباعه قال العوفي عن ابن عباس يصدفون أي يعدلون وقال مجاهد وقناة يعرضون وقال السدي يصدون وقوله تعالى (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة) أي وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وفجأكم (أو جهرة) أي ظاهراً عياناً (هل يهلك إلا القوم الظالمون) أي إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية ، وقوله (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) أي مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر بالله النقيات والعقوبات ، ولهذا قال (فمن آمن وأصلح) أي فمن آمن قلبه بما جاءوا به وأصلح عمله باتباعه إياهم (فلا خوف عليهم) أي بالنسبة لما يستقبلونه (ولا هم يحزنون أي بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها ، الله وليهم فيما خلفوه ، وحافظهم فيما تركوه ، ثم قال (والذين كذبوا بآياتنا يمسمهم العذاب بما كانوا يفسقون) أي ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل وخرجوا عن أوامر الله وطاعته وارتكبوا من مناهيه ومحارمه واتهك حرمانه

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ \* وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ \* وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ \* وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ \* وَإِذَا جَاءَكَ

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِنَايُنَا قُلْ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٤﴾

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ ( قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ) أى لست أملكها ولا أتصرف فيها ( ولا أعلم الغيب ) أى ولا أقول لكم إنى أعلم الغيب إنما ذلك من علم الله عز وجل ولا أطلع منه إلا على ما أطلعنى عليه ( ولا أقول لكم إنى ملك ) أى ولا أدعى أنى ملك إنما أنا بشر من البشر يوحى إلى من الله عز وجل شرفنى بذلك وأنعم علىّ به ولهذا قال ( إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ ) أى لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه ( قل هل يستوى الأعمى والبصير ) أى هل يستوى من اتبع الحق وهدى اليه ومن ضل عنه فلم ينقله ( أفلا تتفكرون ) وهذه كقوله تعالى ( أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب ) وقوله ( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع ) أى وأنذر بهذا القرآن يا محمد ( الذين هم من خشية ربهم مشفقون ) ( الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ) ( الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ) أى يوم القيامة ( ليس لهم ) أى يومئذ ( من دونه ولى ولا شفيع ) أى لا يقرب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أرادهم بهم ( لعلمهم يتقون ) أى أنذر هذا اليوم الذى لا حاكم فيه إلا الله عز وجل ( لعلمهم يتقون ) فيعملون فى هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه . وقوله تعالى ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ) أى لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك كقوله ( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ) وقوله ( يدعون ربهم ) أى يعبدونه ويسألونه ( بالغداة والعشى ) قال سعيد بن المسيب ومجاهد والحسن وقتادة المراد به الصلاة المكتوبة وهذا كقوله ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ) أى أقبل منكم وقوله ( يريدون وجهه ) أى يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم وهم مخلصون فيهم فيه من العبادات والطاعات وقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ) كقول نوح عليه السلام فى جواب الدين قالوا أنؤمن لك واتبعك الأزدلون وما علمى بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون . أى إنما حسابهم على الله عز وجل وليس على من حسابهم من شيء كما أنه ليس عليهم من حسابى من شيء ، وقوله ( فتطردهم فتكون من الظالمين ) أى إن فعات هذا والحالة هذه قال الإمام أحمد حدثنا أسباط هو ابن محمد حدثنى أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال مر الملائم من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء ؟ فنزل فيهم القرآن ( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم - الى قوله - أليس الله بأعلم بالشاكرين ) ورواه ابن جرير من طريق أشعث عن عن كردوس عن ابن مسعود قال . مر الملائم قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم تتبعك ، فنزلت هذه الآية ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ) ( وكذلك فتنا بعضهم ببعض ) إلى آخر الآية ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى حدثنا سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد العنقزى حدثنا أسباط بن نصر عن السدى عن أبى سعيد الأزدى - وكان فارسى الأزد - عن أبى الكنود عن خباب فى قول الله عز وجل ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ) قال جاء الأقرع ابن حابس التيمى وعيينة بن حسن الفزارى فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا فى ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبى صلى الله عليه وسلم حقروهم فى نفر فى أصحابه فأتوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن تارانا العرب

مع هذه الأعباء فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال « نعم » قالوا فاكتب لنا عليك كتابا قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل فقال ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم ) الآية فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه ، ورواه ابن جرير من حديث أسباط به ، وهذا حديث غريب فان هذه الآية مكية والأفرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر وقال سفيان الثوري عن المقدم بن شريح عن أبيه قال : قال سعد نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ منهم ابن مسعود قال كنا نستبق إلى رسول الله ﷺ وندنو منه ونسمع منه فقالت قريش تدنى هؤلاء دوننا فنزلت ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالعداوة والعشى ) رواه الحاكم في مستدركه من طريق سفيان وقال علي شرط الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدم بن شريح به

وقوله ( وكذلك فتنا بعضهم ببعض ) أي ابتلنا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض ( ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من اتبعه في أول بعثته ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل كما قال قوم نوح لنوح ( وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذ لنا بادي الرأي ) الآية وكما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان حين سأله عن تلك المسائل فقال له فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم فقال هم أتباع الرسل والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفاءهم وبعذبون من يقدرون عليه منهم وكانوا يقولون هؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أي ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير لو كان ماصاروا إليه خيرا ويدعنا كقولهم ( لو كان خيرا ما سبقونا إليه ) وكقوله تعالى ( وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ) قال الله تعالى في جواب ذلك ( وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورثيا ) وقال في جوابهم حين قالوا ( هؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ) أي أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمايرهم فيوقهم ويهديهم سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم كما قال تعالى ( والذين جاهدوا فينا لنهديم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين ) وفي الحديث الصحيح « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وقال ابن جرير حدثنا الماسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله ( وأندربه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ) الآية قال جاء عتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل في أشرف من بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمداً يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فأعماهم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له قال فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بذلك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون من قولهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية ( وأندربه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ) إلى قوله ( أليس الله بأعلم بالشاكرين ) قال وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبي حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود وابن القاري وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو وذو الشمالين ومرثد بن أبي مرثد وأبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء ( وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا ) الآية فلما نزلت أقبلت عمر رضي الله عنه فأتى النبي ﷺ فاعتذر من مقالته فأنزل الله عز وجل ( وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ) الآية وقوله ( وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ) أي فأكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال ( كتب ربكم على نفسه الرحمة ) أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا ( أنه من عملكم شيء سواء بجهالة ) قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل ، وقال معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان بن عكرمة في قوله ( من عمل منكم سوءا بجهالة ) قال الدنيا كلها جهالة رواه ابن أبي حاتم ( ثم تاب من بعده وأصلح ) أي رحع عما كان عليه من المعاصي وأقلع

وعزم على أن لا يعود وأصلح العمل في المستقبل ( فإنه غفور رحيم ) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن هام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » أخرجاه في الصحيحين وهكذا رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة وكذا رواه الليث وغيره عن محمد بن مجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بذلك وقد روى ابن مردويه من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقا لم يعملوا خيرا مكتوب بين أعينهم عتقاء الله » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن سلمان عن أبي عثمان النهدي عن سلمان في قوله ( كتب ربكم على نفسه الرحمة ) قال أنا نجد في التوراة عطفين أن الله خلق السموات والأرض وخلق مائة رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة قال فيها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها يتبذلون وبها يتزاوون وبها تحن الناقة وبها تبخ البقرة وبها تنغو الشاة وبها تتتابع الحيتان في البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده ورحمته أفضل وأوسع ، وقد روى هذا مرفوعا من وجه آخر وسيأتي كثير من الأحاديث الموافقة لهذه عند قوله ( ورحمتي وسعت كل شيء ) ومما يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضا قوله ﷺ لمعاذ بن جبل « أتدرى ما حق الله على العباد ؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » ثم قال « أتدرى ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم » وقد رواه الإمام أحمد من طريق كميل بن زياد عن أبي هريرة رضى الله عنه

﴿ وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ \* قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَمُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ \* قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ \* وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

يقول تعالى وكما بيننا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعناد ( كذلك نفصل الآيات ) أى التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها ( ولتستبين سبيل المجرمين ) أى ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسول وقرئ ( ولتستبين سبيل المجرمين ) أى ولتستبين يا محمد أوبا مخاطب سبيل المجرمين وقوله ( قل إنى على بينة من ربي ) أى على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها الله إلى ( وكذبتم به ) أى بالحق الذي جاءني من الله ( ما عندي ما تستعجلون به ) أى من العذاب ( إن الحكم إلا لله ) أى إنما يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عجل لكم ما سأتموه من ذلك وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة ولهذا قال ( يقص الحق وهو خير الفاصلين ) أى وهو خير من فصل القضايا وخير الفاتحين في الحكم بين عباده، وقوله ( قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضى الأمر بيني وبينكم ) أى لو كان مرجع ذلك إلى لأوقعت لكم ما تستحقونه من ذلك والله أعلم بالظالمين ، فان قيل فما الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقباء إذ عرضت نفسي على ابن عبد ليلى بن عبد كلال فلم يجبهى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استنق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة فدظلمتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد

سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بأمرك فما شئت ، إن شئت أطقت عليهم الأخشيين فقال رسول الله ﷺ « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً » وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابهم واستصالحهم فاستأني بهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئاً فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة ( قل لو أن عندى ماتستعجلون به لفضى الأمر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين ) فالجواب والله أعلم أن هذه الآية دلت على أنه لو كان اليه وقوع العذاب الذى يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم بل عرض عليه ملك الجبال انه إن شاء أطبق عليهم الأخشيين وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوبا وشمالا فلماذا استأني بهم وسأل الرفق لهم . وقوله تعالى ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ) قال البخارى حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله » ( إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أمر تموت ، إن الله يعلم خبير ) وفى حديث عمر أن جبريل حين تبدى له فى صورة أعرابي فسأل عن الإيمان . والاسلام والاحسان فقال له النبي ﷺ فيما قال له « خمس لا يعلمهن إلا الله » ثم قرأ ( إن الله عنده علم الساعة ) وقوله ( ويعلم ما فى البر والبحر ) أى محيط علمه الكريم بجميع الموجودات برها وبحريها لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وما أحسن ما قاله الصرصرى :

فلا يخفى عليه الدر إما \* تراءى للنواظر أو توارى

وقوله ( وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ) أى ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سائر الكلكلون منهم من جنهم وإنسهم كما قال تعالى ( يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حاتم حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق حدثنا حسان النخري عن ابن عباس فى قوله ( وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ) قال ما من شجرة فى بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها رواه ابن أبي حاتم وقوله ( ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهرى حدثنا مالك بن سعيد حدثنا الأعمش عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث قال ما فى الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة إلا وعليها ملك موكل بأمر الله يعلمها رطوبتها إذا رطبت ويؤسستها إذا يبست وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحسانى عن مالك بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الله النون وهى الدواة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقض ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية ( وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ) إلى آخر الآية قال محمد بن إسحاق عن يحيى بن النضر عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن مالوا أنهم ظهروا يعنى لكم ثم رآهم نوراعلى كل زاوية من زوايا الأرض خاتم من خواتيم الله عز وجل على كل خاتم ملك من الملائكة يبعث الله عز وجل اليه فى كل يوم ملكا من عنده أن احتفظ بما عندك .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ \* ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴾

يقول تعالى إنه يتوفى عباده في منامهم بالليل وهذا هو التوفى الأصغر كما قال تعالى ( إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعتك إلى ) وقال تعالى ( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ) فذكر في هذه الآية الوفايتين الكبرى والصغرى وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفايتين الصغرى ثم الكبرى فقال ( وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ) أي ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقه في ليلهم ونهارهم في حال سكونهم وحال حركتهم كما قال ( سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار ) وكما قال تعالى ( ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكوا فيه ) أي في الليل ( ولتبتغوا من فضله ) أي في النهار كما قال ( وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ) ولهذا قال تعالى ها هنا ( وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ) أي ما كسبتم من الأعمال فيه ( ثم يبعثكم فيه ) أي في النهار قاله مجاهد وقتادة والسدى ، وقال ابن جريج عن عبد الله بن كثير أي في المنام والأول أظهر وقد روى ابن مردويه بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ويرد إليه فإن أذن الله في قبض روحه قبضه وإلرد إليه » فذلك قوله ( وهو الذي يتوفاكم بالليل )

وقوله ( ليقتضى أجل مسمى ) يعني به أجل كل واحد من الناس ( ثم إليه مرجعكم ) أي يوم القيامة ( ثم ينبئكم ) أي فيخبركم ( بما كنتم تعملون ) أي ويجزيكم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر وقوله ( وهو القاهر فوق عباده ) أي وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء ( ويرسل عابكم حفظة ) أي من الملائكة يحفظون بدن الإنسان كقوله ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ) وحفظة يحفظون عمله ويحفظونه كقوله ( وإن عليكم لحافظين ) الآية وكقوله ( عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) وقوله ( إذ يتلقى التلقين ) الآية وقوله ( حتى إذا جاء أحدكم الموت ) أي احتضر وحن أحله ( توفته رسلنا ) أي ملائكة موكلون بذلك قال ابن عباس وغير واحد : ملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم ، وسيأتي عند قوله تعالى ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ) الأحاديث المتعلقة بذلك الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة ، وقوله ( وهم لا يفرطون ) أي في حفظ روح التوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عز وجل إن كان من الأبرار ففي عليين وإن كان من الفجار ففي سجين عبادا بالله من ذلك وقوله ( ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ) قال ابن جرير ( ثم ردوا ) يعني الملائكة ( إلى الله مولاهم الحق ) ونذكر ها هنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « إن الميت محضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مزحجاً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الحيثة كانت في الجسد الحيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لامرحباً بالنفس الحيثة كانت في الجسد الحيث ارحمي ذميمة فانه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل في الحديث الثاني » هذا حديث غريب ويحتمل أن يكون المراد بقوله ( ثم ردوا ) يعني الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة فيحكم بهم بعدله كما قال ( قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ) وقال ( وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً ) إلى قوله ( ولا يظلم ربك أحداً ) ولهذا قال ( مولاهم الحق ) أله الحكم وهو أسرع الحاسبين )

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن أَنجَانَا مِن هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ \* قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ \* قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿

يقول تعالى ممثنا على عباده في إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر أى الحائرين الواقعين في المهامه البرية وفي اللجج البحرية إذا هاجت الرياح العاصفة فيحثذ يفردون الدعاء له وحده لا شريك له كقوله ( وإذا مسك الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ) الآية وقوله ( هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجبتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ) الآية وقوله ( أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ) وقال فى هذه الآية الكريمة ( قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية ) أى جهراً وسراً ( لئن أنجانا ) أى من هذه الضائقة ( لنكونن من الشاكرين ) أى بعدها قال الله ( قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم ) أى بعد ذلك ( تشركون ) أى تدعون معه فى حال الرفاهية آلهة أخرى وقوله ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ) لما قال ثم أنتم تشركون عقبه بقوله ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً ) أى بعد إنجائهم إياكم كقوله فى سورة سبحان ( ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً ) وإذا مسك الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً . أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً أم أنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ) قال ابن أبى حاتم ذكر عن مسلم بن إبراهيم حدثنا هارون الأعور عن جعفر بن سليمان عن الحسن فى قوله ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ) قال هذه للمشركين . وقال ابن نجيب عن مجاهد فى قوله ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ) لآمة محمد ﷺ وعنى عنهم ، ونذكر هنا الأحاديث الواردة فى ذلك والآثار وبالله المستعان وعليه التكلان وبه الثقة

قال البخارى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ) أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ) يلبسكم يخاطبكم من الالتباس يلبسوا يخلطوا شيعاً فرقا حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ) قال رسول الله ﷺ « أعوذ بوجهك » ( أو من تحت أرجلكم ) قال « أعوذ بوجهك » ( أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ) قال رسول الله ﷺ « هذه أهون - أو - أيسر » وهكذا رواه أيضاً فى كتاب التوحيد عن قتبية عن حماد به ، ورواه النسائى أيضاً فى التفسير عن قتبية ومحمد بن النضر ابن مساور ويحيى بن حبيب بن عدى أربعتهم عن حماد بن زيد به ، وقد رواه الحميدى فى مسنده عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار سمع جابراً عن النبي صلى الله عليه وسلم به . ورواه ابن حبان فى صحيحه عن أبى يعلى الوصلى عن أبى خيثمة عن سفيان بن عيينة به ، ورواه ابن جرير فى تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشى وسعيد بن الربيع وسفيان بن وكيع كلهم عن سفيان بن عيينة به ، ورواه أبو بكر بن مردويه من حديث آدم بن أبى إياس ويحيى بن عبد الحميد وعاصم ابن على عن سفيان بن عيينة به ورواه سعيد بن منصور عن حماد بن زيد وسفيان بن عيينة كلاهما عن عمرو بن دينار به

( طريق آخر ) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا مقدم بن داود حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد الله بن لهيعة عن خالد بن يزيد عن أبي الزبير عن جابر قال لما نزلت ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ) قال رسول الله ﷺ « أعوذ بالله من ذلك » ( أو من تحت أرجلكم ) قال رسول الله ﷺ « أعوذ بالله من ذلك » ( أو يلبسكم شيئا ) قال « هذا أيسر » ولو استعاذه لأعاده . ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة ( أحدها ) قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا أبو الهيثم حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي مريم عن راشد هو ابن سعد المقرئ عن سعد بن أبي وقاص قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ) فقال « أمانها كائنه ولم يأت تأويلها بعد » وأخرجه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن أبي مريم به ثم قال هذا حديث غريب .

( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا يعلى هو ابن عبيد حدثنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا معه فاجى ربه عز وجل طويلا ثم قال « سألت ربي ثلاثا سأله أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانها وسأله أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانها وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها » انفراد بإخراجه مسلم فرواه في كتاب الفتن عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبد الله بن غير كلاهما عن عبد الله بن نمير وعن محمد بن يحيى بن أبي عمرو عن مروان بن معاوية كلاهما عن عثمان بن حكيم به ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد قرأت على عبد الرحمن بن مهدي عن مالك عن عبد الله بن عبد الله ابن جابر بن عتيك عن جابر بن عتيك أنه قال جاءنا عبد الله بن عمر في حرة بني معاوية - قرية من قرى الأنصار - فقال لي هل تدري أين صلى رسول الله ﷺ في مسجدكم هذا ؟ فقلت نعم فأشرت إلى ناحية منه فقال هل تدري ما الثلاث التي دعاهن فيه ؟ فقلت نعم فقال أخبرني بهن فقلت دعا أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ولا يهلكهم بالسنين فأعطيها . ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها ، قال صدقت فلا يزال المخرج إلى يوم القيامة . ليس هو في شيء من الكتب الستة وإسناده جيد قوى والله الحمد والمنة

( حديث آخر ) قال محمد بن إسحاق عن حكيم بن حكيم بن عباد عن خضيف عن عباد بن حنيف عن علي بن عبد الرحمن أخبرني حذيفة بن اليمان قال خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بني معاوية قال فصلى ثمانى ركعات فأطال فيهن ثم التفت إلى فقال « حبستك يا حذيفة » قلت لله ورسوله أعلم قال « إني سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سأله أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فأعطاني وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني » رواه ابن مردويه من حديث محمد بن إسحاق ، ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا عبيدة ابن حميد حدثني سليمان بن الأعمش عن رجاء الأنصاري عن عبد الله بن شداد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقيل لي خرج قبل ، قال فجعلت لا أمر بأحد إلا قال مر قبل ، حتى مررت فوجدته قائما يصلى قال فجلت حتى قلت خلفه قال : فأطال الصلاة فلما قضى صلاته قلت يا رسول الله قد صليت صلاة طويلا فقال رسول الله ﷺ « إني صليت صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله عز وجل ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سأله أن لا يهلك أمتي غرقا فأعطاني وسأله أن لا يظهر عليهم عدوا ليس منهم فأعطاني وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي » ورواه ابن ماجه في الفتن عن محمد بن عبد الله بن نمير وعلى بن محمد كلاهما عن أبي معاوية عن الأعمش به ورواه ابن مردويه من حديث أبي عوانة عن عبد الله بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ بمثله أو نحوه

( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج أن الضحاك بن عبد الله القرشي أحدثه عن أنس بن مالك أنه قال رأيت رسول الله ﷺ في سفر صلى سبحة الضحى ثمانى ركعات فلما انصرف قال « إني صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت ربي ثلاثا فأعطاني

اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يتلى أمتي بالسنين ففعل وسألته أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل، وسألته أن لا يسلبهم شيئا فأبى علي « ورواه النسائي في الصلاة عن محمد بن سلمة عن ابن وهب به . ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا أبو الهيثم أخبرنا شعيب بن أبي حمزة قال قال الزهري حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن خباب عن أبيه خباب بن الأرت مولى بني زهرة وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ أنه قال وافيت رسول الله ﷺ في ليلة صلاها كلها حتى كان مع الفجر فسلم رسول الله ﷺ من صلاته فقلت يا رسول الله لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت مثلها فقال رسول الله ﷺ « أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومعنى واحدة سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لا يلبسنا شيئا فمنعنيها » ورواه النسائي من حديث شعيب ابن أبي حمزة به . ومن وجه آخر وابن حبان في صحيحه بإسناديهما عن صالح بن كيسان والترمذي في القآن من حديث النعمان بن راشد كلاهما عن الزهري به وقال حسن صحيح . ( حديث آخر ) قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره حدثني زياد بن عبد الله المزني حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا أبو مالك حدثني نافع بن خالد الخزازي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال « قد كانت صلاة رغبة ورهبة ، سألت الله عز وجل فيها ثلاثا أعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن لا يصيبكم بئذاب أصاب به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها » قال أبو مالك فقلت له أبوك سمع هذا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق قال : قال معمر أخبرني أيوب عن أبي قلابة عن الأشعث الصنعاني عن أبي أسماء الرجعي عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ مازوى لي منها وإني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر وإني سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمتي بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم بعامة وأن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فقال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكتهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا بمن سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي بعضا » قال: وقال النبي ﷺ « إنى لأخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة » ليس في شيء من الكتب الستة وإسناده جيد قوي وقدرناه ابن مردويه من حديث حماد بن زيد وعباد بن منصور وقتادة ثلاثهم عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان عن رسول الله ﷺ بنحوه والله أعلم

( حديث آخر ) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم الهاشمي وميمون بن إسحاق بن الحسن الحنفى قالوا حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن نافع بن خالد الخزازي عن أبيه قال وكان أبوه من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من أصحاب الشجرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى والناس حوله صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود قال فجلس يوما فأطال الجلوس حتى أوما بعضنا إلى بعض ان اسكتوا إنه ينزل عليه فلما فرغ قال له بعض القوم يا رسول الله لقد أطلت الجلوس حتى أوما بعضنا إلى بعض انه ينزل عليك قال « لا ولكنها كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن لا يعذبكم بئذاب عذب به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط على أمتي عدوا يستبيحها فأعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيئا وأن لا يذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها » قال قلت له أبوك سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال نعم سمعته يقول إنه سمعها من رسول الله ﷺ عدد أصابع هذه عشر أصابع ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا بونس هو ابن محمد المؤدب حدثنا ليث هو ابن سعد عن أبي وهب الخولاني

عن رجل قد ساء عن أى بصرة الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله ﷺ قال « سألت ربي عز وجل أربعاً فأعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها » لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة .  
( حديث آخر ) قال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا أبو حذيفة الثعلبي عن زياد بن علاقة عن جابر بن سمرة السوائي عن علي بن أن رسول الله ﷺ قال « سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة قلت يارب لا تهلك أمتي جوفاً فقال هذه لك قلت يارب لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم يعني أهل الشرك فيجتاحهم قال ذلك لك قلت يارب لا تجعل بأسهم بينهم - قال - فمنعني هذه . » ( حديث آخر ) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم عن أحمد بن محمد بن محمد بن عاصم . حدثنا أبو الدرداء المروزي حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمتي أربعاً فرفع الله عنهم ثنتين وأبى علي أن يرفع عنهم ثنتين ، دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء والفرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع الله عنهم الرجم من السماء والفرق من الأرض ، وأبى الله أن يرفع اثنتين القتل والمهراج . » ( طريق أخرى ) عن ابن عباس أيضاً قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن يزيد حدثني الوليد بن أبان حدثنا جعفر بن منير حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد حدثنا عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ) قال: فقام النبي ﷺ فتوضأ ثم قال « اللهم لا ترسل على أمتي عذاباً من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا تلبسهم شيعاً ولا تذق بعضهم بأس بعض » قال فأتاه جبريل فقال يا محمد إن الله قد أجاز أمتك أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم . ( حديث آخر ) قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله البزار حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا أسباط عن السدي عن أبي المنهال عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « سألت ربي لأمتي أربع خصال فأعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة سألته أن لا تكفر أمتي صفقة واحدة فأعطانيها وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد القطان عن عمرو بن محمد العنقزي به نحوه .

( طريق أخرى ) وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا كثير بن زيد الليثي المدني حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذئاب سمع أبا هريرة يقول قال النبي ﷺ « سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فأعطاني وسألته أن لا يهلكهم بالسنين فأعطاني وسألته أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعني » ثم رواه ابن مردويه بإسناده عن سعد بن سعيد عن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ورواه البزار من طريق عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه .

( أثر آخر ) قال سفيان الثوري عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال أربع في هذه الأمة قد مضت اثنتان وبقيت اثنتان ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ) قال الرجم ( أو من تحت أرجلكم ) قال الحسيف ( أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ) قال سفيان يعني الرجم والحسيف ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ) قال فهي أربع خلال منها اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان لا بد منهما واقعتان الرجم والحسيف ، ورواه أحمد

عن وكيع عن أبي جعفر. ورواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو الأشهب عن الحسن في قوله (قل هو القادر على أن يبعث) الآية قال حسبت عقوبتها حتى عمل ذنبا فلما عمل ذنبا أرسلت عقوبتها وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدي وابن زيد وغير واحد في قوله (عذابا من فوقكم) يعني الرجم (أو من تحت أرجلكم) يعني الحسف وهذا هو اختيار ابن جرير، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال كان عبد الله بن مسعود يصيح وهو في المسجد أو على المنبر يقول ألا أيها الناس إنه قد نزل بكم، إن الله يقول (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا (أو من تحت أرجلكم) لو خسف بكم الأرض أهلكتكم ولم يبق منكم أحدا (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث (قول ثان) قال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب سمعت خلاد بن سليمان يقول سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول إن ابن عباس كان يقول في هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) فأتمه السوء (أو من تحت أرجلكم) فخدم السوء وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (عذابا من فوقكم) يعني أمراءكم (أو من تحت أرجلكم) يعني عبيدكم وسفلكم، وحكى ابن أبي حاتم عن أبي سنان وعمر بن هانئ نحو ذلك. قال ابن جرير وهذا القول وإن كان له وجه صحيح لكن الأول أظهر وأقوى، وهو كما قال ابن جرير رحمه الله ويشهد له بالصحة قوله تعالى (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وفي الحديث «ليكونن في هذه الأمة قذف وخسف ومسح» وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى وقوله (أو يلبسكم شيعا) يعني يجعلكم ملتبسين شيعا فرقا متخالفين. قال الواجب عن ابن عباس يعني الأهواء وكذا قال مجاهد وغير واحد وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه عليه السلام أنه قال «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» وقوله تعالى (ويذيق بعضكم بأس بعض) قال ابن عباس وغير واحد يعني يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل) وقوله تعالى (انظر كيف نصرنا الآية) أي نبينا ونوضحها مرة ونفسرها (لعلهم يفقهون) أي يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه. قال زيد بن أسلم لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف» قالوا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله قال «نعم» فقال بعضهم لا يكون هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون فنزلت (انظر كيف نصرنا الآية لعلهم يفقهون) \* وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير

﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ \* لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ \* وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَسْنَا نذكرُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى (وكذب به) أي بالقرآن الذي جئت به والهدى والبيان (قومك) يعني قريشا (وهو الحق) أي الذي ليس وراءه حق (قل لست عليكم بوكيل) أي لست عليكم بحفيظ ولست بموكل بكم كقوله (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أي إنما على البلاغ وعلبكم السمع والطاعة فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة ومن خالفني فقد شقى في الدنيا والآخرة ولهذا قال (لكل نبأ مستقر) قال ابن عباس وغير واحد أي لكل نبأ حقيقة أي لكل خبر وقوع ولو بعد حين كما قال (ولتعلمن نبأه بعد حين) وقال (لكل أجل كتاب) وهذا تهديد ووعد أكيد

ولهذا قال بعده ( وسوف تعلمون ) وقوله ( وإذا رأيت الدين يخوضون في آياتنا ) أى بالتكذيب والاستهزاء ( فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ) أى حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب ( وإما ينسبك الشيطان ) والمراد بذلك كل فرد فرد من آحاد الأمة أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها فان جلس أحد معهم ناسيا ( فلا تعد بعد الذكرى ) بعد التذكار ( مع القوم الظالمين ) ولهذا ورد في الحديث « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ». وقال السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله ( وإما ينسبك الشيطان ) قال إن نسيك فدكرت ( فلا تعد ) معهم وكذا قال مقاتل بن حيان وهذه الآية هي المشار إليها في قوله ( وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ) الآية أى إنكم إذا جلستم معهم وأقررتهم على ذلك فقد ساويتهم فيما هم فيه وقوله ( وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ) أى إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد برئوا من عهدهم وتخلصوا من إثمهم ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن سعيد بن جبير قوله ( وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ) قال ما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك أى إذا تجنبتهم وأعرضت عنهم ، وقال آخرون بل معناه وإن جلسوا معهم فليس عليهم من حسابهم من شيء وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية وهي قوله ( إنكم إذا مثلهم ) قاله مجاهد والسدي وابن جريج وغيرهم . وطى قولهم يكون قوله ( ولكن ذكرى لعلهم يتقون ) أى ولكن أمرناكم بالأعراض عنهم حينئذ تذكيرا لهم عما هم فيه لعلهم يتقون ذلك ولا يعودون إليه

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لَعَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾

يقول تعالى ( وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ) أى دعهم وأعرض عنهم وأمهلم قليلا فانهم صائرون إلى عذاب عظيم ولهذا قال وذكر به أى ذكر الناس بهذا القرآن وحذرهم تقمة الله وعذابه الأليم يوم القيامة وقوله تعالى ( أن تبسل نفس بما كسبت ) أى ثلاث تبسل قال الضحاك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن والسدي تبسل : تسل ، وقال الواجب عن ابن عباس تفتضح . وقال قتادة تحبس وقال مرة وابن زيد تؤاخذ . وقال الكلبي تجزى وكل هذه الأقوال والعبارات متقاربة في المعنى وحاصلها الإسلام للهلكة والحبس عن الخير والارتهان عن درك اللطوب كقوله ( كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ) وقوله ( ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ) أى لا قريب ولا أحد يشفع فيها كقوله ( من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ) وقوله ( وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ) أى ولو بذلت كل مبدول ما قبل منها كقوله ( إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقل من أحدهم ملء الأرض ذبا ) الآية وكذا قال ههنا ( أولئك الذين أفسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون )

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقِبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُوذِنَا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمِرٌ نَّا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٤٥﴾

قال السدي: قال المشركون للمسلمين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد فأنزل الله عز وجل ( قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا) أي في الكفر (بعد إهدانا الله) فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين في الأرض يقول مثلكم إن كفرتم بعد إيمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجمعوا يدعونه إليهم يقولون ائتنا فإننا على الطريق فأبى أن يأتهم فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق والطريق هو الإسلام رواه ابن جرير ، وقال قتادة (استهوته الشياطين في الأرض) أضلته في الأرض بمعنى استهوته سيرته كقوله (تهوى إليهم) وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ( قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ) الآية هذا مثل ضربه الله للألوهة ومن يدعو إليها والدعاة الذين يدعون إلى هدى الله عز وجل كمثل رجل ضل عن طريق تائها إذ ناداه مناد يا فلان ابن فلان هلم إلى الطريق وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم إلى الطريق فان اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة وإن أجاب من يدعو إلى الهدى اهتدى إلى الطريق وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان ، يقول مثل من يعبد هذه الألوهة من دون الله فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الندامة والهلكة وقوله ( كالذي استهوته الشياطين في الأرض ) هم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه وجده فيتبعها وهو يرى أنه في شيء فيصبح وقد رمته في هلكة وربما أكلته أو تلقية في مضلة من الأرض يهلك فيها عطشا فهذا مثل من أجاب الألوهة التي تعبد من دون الله عز وجل رواه ابن جرير وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كالذي (استهوته الشياطين في الأرض حيران) قال رجل حيران يدعو أصحابه إلى الطريق وذلك مثل من يضل بعد أن هدى . وقال العوفي عن ابن عباس قوله ( كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب ) هو الذي لا يستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل في الأرض بالمعصية وحاد عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ويزعمون أن الذي يأمرونه به هدى يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس ( إن الهدى هدى الله ) والضلال ما يدعو إليه الجن رواه ابن جرير ثم قال وهذا يقتضى أن أصحابه يدعونه إلى الضلال ويزعمون أنه هدى قال وهذا خلاف ظاهر الآية فان أخبر أنهم يدعونه إلى الهدى فغير جائز أن يكون ضلالا وقد أخبر الله أنه هدى وهو كما قال ابن جرير فان السياق يقتضى أن هذا الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران وهو منصوب على الحال أي في حال حيرته وضلاله وجهه وجه المحجة وله أصحاب على المحجة سائرون فجمعوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة المثلى وتقدير الكلام فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم ولو شاء الله لهداه ولرد به إلى الطريق ولهذا قال ( قل هدى الله هو الهدى ) كما قال ( ومن يهد الله فما له من مضل ) وقال ( إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ) وقوله ( وأمرنا لنسلم لرب العالمين ) أي نخلص له العبادة وحده لا شريك له ( وأن أقيموا الصلاة واتقوه ) أي وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقواه في جميع الأحوال ( وهو الذي إليه تحشرون ) أي يوم القيامة ( وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ) أي بالعدل فهو خالقهما ومالكهما والمدير لهما ولئن فيها وقوله ( ويوم يقول كن فيكون ) يعني يوم القيامة الذي يقول الله كن فيكون عن أمره كلح البصر أو هو أقرب ، ويوم منصوب إما على العطف على قوله واتقوه وتقديره واتقوا يوم يقول كن فيكون وإما على قوله ( خلق السموات والأرض ) أي وخلق يوم يقول كن فيكون فذكر بدء الخلق وإعادته وهذا مناسب . وإما على إضمار فعل تقديره واذكر يوم يقول كن فيكون وقوله ( قوله الحق وله الملك ) جملتان محلها الجر على أنهما صفتان لرب العالمين ، وقوله ( يوم ينفخ في الصور ) يحتمل أن يكون بدلا من قوله ( ويوم يقول كن فيكون يوم ينفخ في الصور ) ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله ( وله الملك يوم ينفخ في الصور ) كقوله ( لمن الملك اليوم لله الواحد القهار )

كقوله ( الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ) وما أشبه ذلك ، واختلف المفسرون في قوله ( يوم ينفخ في الصور ) فقال بعضهم المراد بالصور هنا جمع صورة أى يوم ينفخ فيها فتحييا . قال ابن جرير كما يقال : سور لسور البلد وهو جمع سورة والصحيح أن المراد بالصور القرن الذى ينفخ فيه إسرائيل عليه السلام قال ابن جرير والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن إسرائيل قد التقم الصور وحى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ » رواه مسلم فى صحيحه ، وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو قال : قال أعرابي يا رسول الله ما الصور ؟ قال « قرن ينفخ فيه »

وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبى القاسم الطبرانى فى كتابه المطولات قال حدثنا أحمد بن الحسن المقرئ الأبلج حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه فقال « إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو واضع على فيه شاخصا بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قلت يا رسول الله وما الصور قال « القرن » قلت كيف هو ؟ قال « عظيم والذى بعثى بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض ينفخ فيه ثلاث نفحات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله تعالى إسرائيل بالنفخة الأولى فيقول انفضح فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ويأمره فيظليلها ويديمها ولا يفتر وهى كقول الله ( وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ) فيسير الجبال فتمرمر السحاب فتكون سرايا ثم ترجع الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينه الرميه فى البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالتنديل المعلق فى العرش ترججه الرياح وهو الذى يقول ( يوم ترجف الراجفة \* تتبعها الرادفة \* قلوب يومئذ واجفة ) فيعيد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتظير الشياطين هاربة من الفزع حتى تاتى الأقطار فتأتى الملائكة فتضرب وجوهها فترجع وبولى الناس مدبرين ما لهم من أمن الله من عاصم ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله تعالى ( يوم التناد ) فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فأرأوا أمرا عظيما لم يروا مثله وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به علم ثم نظروا إلى السماء فإذا هى كالمهل ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقرها » قال رسول الله ﷺ « الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك » قال أبو هريرة يا رسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول ( ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ) ؟ قال « أولئك الشهداء » وإعسا يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقام الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه — قال — وهو الذى يقول الله عز وجل ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم \* يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب شديد ) فيقومون فى ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول ثم يأمر الله إسرائيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت فيقول الله وهو أعلم بمن بقى فمن بقى ؟ فيقول يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل : ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يارب يموت جبريل وميكائيل ، فيقول اسكت ، فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى فيموتان ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار فيقول يارب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله ليمت حملة العرش فتموت ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرائيل ثم يأتى ملك الموت فيقول يارب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقى خلقك لما رأيت فمت فيموت

فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخراً كما كان أولاً طوى السموات والأرض  
طوى السجل للكتب ثم دحاها ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار ثلاثاً ثم هتف بصوته (لمن الملك  
اليوم) ثلاث مرات فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه (الله الواحد القهار) يقول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات)  
فيسطهما ويسطحهما ثم يمدها مد الأديم العكاظي (لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) ثم يزر الله الحلق زجرة واحدة  
فإذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على  
ظهرها ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم  
اثني عشر ذراعاً ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطرائث أو كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم  
فكانت كما كانت قال الله عز وجل ليحي حملة عرشى فيحيون ويأمر الله إسرئيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم  
يقول ليحي جبريل وميكائيل فيحييان ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح السالمين نورا وأرواح الكافرين  
ظلمة فيقبضها جميعاً ثم يلقها في الصور ثم يأمر الله إسرئيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح  
كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول وعزى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح  
في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الحياشيم ثم تمشى في الأجساد كما تمشى السم في اللديغ ثم تنشق الأرض عنهم وأنا  
أول من تنشق الأرض عنه فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم  
عسر) حفاة عراة غرلا فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم فتكون  
حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دماً وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان وتقولون من شفيع لنا إلى ربنا فيقضى  
بيننا فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكله قبلاً فيأتون آدم فيطلبون ذلك  
إليه فيأبى ويقول ما أنا بصاحب ذلك فيستقرئون الأنبياء نبياً نبياً كلماً جاءوا نبياً أبي عليهم - قال رسول الله ﷺ -  
حتى يأتوني فأنتقل إلى الفحص فأخر ساجداً - قال أبو هريرة يارسول الله وما الفحص؟ قال - قدام العرش حتى  
يبعث الله إلي ملكاً فيأخذ بعضدى ويرفعني فيقول لى يا محمد فأقول نعم يارب ، فيقول الله عز وجل ماشأناك وهو  
أعلم - فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشفعنى في خلقك فأقضى بينهم قال الله قد شفعتك أنا آتيتكم أفضى بينكم - قال  
رسول الله ﷺ - فأرجع فأقف مع الناس فيبينا نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حساً شديداً فيها لنا فنزل أهل  
السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض بنورهم وأخذوا  
مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا؟ قالوا لا وهو آت ، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها  
من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا؟ فيقولون  
لا . وهو آت ، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار عز وجل فى ظلل من الغمام والملائكة فيحمل  
عرشه يومئذ ثمانية - وهم اليوم أربعة - أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى ، والأرض والسموات إلى حجزم والعرش  
على مناكبهم لهم زجل فى تسيحهم يقولون سبحان ذى العرش والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى  
لا يموت سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول  
سبحان ربنا الأعلى الذى يميت الخلائق ولا يموت فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول  
يامعشر الجن والإنس إنى قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم فانصتوا إلى  
فإنما هى أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، ثم  
يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ، ثم يقول ( ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو  
مبين \* وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم \* ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون \* هذه جهنم التى كنتم  
توعدون ) أو - بهاتكذبون - شك أبو عاصم ( وامتازوا اليوم أيها المجرمون ) فيميز الله الناس وتجوأ الأمم . يقول الله تعالى  
( وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كاسها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ) فيقضى الله عز وجل بين خلقه إلا الثقلين الجن

والإنس فيقضى بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضى للجاء من ذات القرن ، فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عندواحدة للأخرى قال الله لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر (يا ليتني كنت ترابا) ثم يقضى الله بين العباد فكان أول ما يقضى فيه السماء ويأتي كل قتييل في سبيل الله ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أو داجه فيقول يارب فيم قتلني هذا ؟ فيقول - وهو أعلم - فيم قتلتم ؟ فيقول قتلتم لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم يمر به الملائكة إلى الجنة ، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أو داجه فيقول يارب فيم قتلني هذا ؟ فيقول - وهو أعلم - لم قتلتم ؟ فيقول يارب قتلتم لتكون العزة لي فيقول تعست ، ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها ، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه ، ثم يقضى الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء ، فإذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم . ألا ليالحق كل قوم بآلهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزيز ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم . ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصراني ثم قادتهم آلهتهم إلى النار ، وهو الذي يقول (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون) فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المناقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف عنهم وهو الله الذي يأتيهم فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يأتيهم فيقول : يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون . فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمتهم ما يعرفون أنه ربهم فيخرون للأذقان سجدا على وجوههم ويحرك كل منافق على قلبه ويجعل الله أصلابهم كصيصى البقر ، ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة فيمرون كطرف العين أو كلعج البرق أو كحمر الريح أو كجياذ الخيل أو كجياذ الركاب أو كجياذ الرجال فجاج سالم وناج مخدوش ومكردس على وجهه في جهنم ، فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة ؟ فيقولون من أحق بذلك من أيكم آدم عليه السلام خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكله قبلا فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بإبراهيم فإن الله اتخذته خليلا ، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فإن الله قربه نجيا وكله وأنزل عليه التوراة . فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلته عيسى بن مريم ، فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد » قال رسول الله ﷺ « فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنهن فأنتن فأخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لي فأحيا ويرحب بي فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت ساجداً فأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ثم يقول ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع وسل تعطه فإذا رفعت رأسى يقول الله - وهو أعلم - ما شأنك ؟ فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشغني في أهل الجنة فيدخلون الجنة فيقول الله قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة » وكان رسول الله ﷺ يقول « والذي نفسى بيده ما أتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة سبعين مما ينمى الله عز وجل واثنتين آدميتين من ولد آدم لها فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله في الدنيا فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس وإستبرق ثم انه يضع يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت

كبدها له امرأة وكبده لها امرأة . فيينا هو عندها لا يعلمها ولا تمله ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما تشكى قبلها ، فيينا هو كذلك إذ نودى إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لا منى ولا منية إلا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما آتى واحدة قالت له والله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك ولا في الجنة شيء أحب إلى منك . وإذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربك أو بقتهم أعمالهم فمنهم من تأخذ النار قدميه لا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها « قال رسول الله ﷺ » فأقول يارب شفعي فيمن وقع في النار من أمتي فيقول أخرجوا من عرقيم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يأذن الله في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفيع فيقول الله أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيماننا فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يشفع الله فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبه إيماننا ثلثي دينار ثم يقول ثلث دينار ثم يقول ربع دينار ثم يقول قيراطا ثم يقول حبة من خردل فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى في النار من عمل الله خيرا قط ولا يبقى أحد له شفاعاة إلا شفيع حتى إن إبليس يتناول مما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له . ثم يقول بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل فما يلي الشمس منها أخضر وما يلي الظل منها أصفر ، فينتون كنبات الطرائث حتى يكونوا أمثال الدر مكتوب في رقايبهم الجنة يمشون عتقاء الرحمن يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرا لله قط فيمكنون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقايبهم ثم يقولون ربنا امح عنا هذا الكتاب فيمحوه الله عز وجل عنهم «

ثم ذكره بطوله ثم قال هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة ، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدى أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء ، قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة وأما سياقه فغريب جدا ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقا واحدا فأنكر عليه بسبب ذلك وصمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث فآله أعلم

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ؕ إِلَهَةٌ إِنِّي أَرَىكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ \* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ إِلَّا فِيلِينَ \* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ \* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

قال الضحاك عن ابن عباس إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تاريخ رواه ابن أبي حاتم وقال أيضا حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل حدثنا أبي حدثنا أبو عاصم شبيب حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قوله (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) يعني بأزر الصنم ، وأبو إبراهيم اسمه تاريخ وأمه اسمها شاني وامرأته اسمها سارة وأم إسماعيل اسمها هاجر وهي سرية إبراهيم وهكذا قال غير واحد من علماء النسب أن اسمه تاريخ وقال مجاهد والسدى آزر اسم صنم قلت كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم فآله أعلم ، وقال ابن جرير وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ومعناه

معوج ولم يسنده ولا حكاه عن أحد. وقد قال ابن أبي حاتم ذكر عن معتمر بن سليمان سمعت أبي يقرأ ( وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ) قال بلغني أنها أعوج وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام ثم قال ابن جرير والصواب أن اسم أبيه آزر ثم أورد على نفسه قول النسائين أن اسمه تاريخ ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس أو يكون أحدهما لقباً وهذا الذي قاله جيد قوى والله أعلم ، واختلف القراء في أداء قوله تعالى ( وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ) فحكي ابن جرير عن الحسن البصرى وأبي يزيد المدنى أنهما كانا يقرآن ( وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ) فتخذ أصناماً آلهة ) معناه يا آزر أتتخذ أصناماً آلهة ، وقرأ الجمهور بالفتح إما على أنه علم أعجمي لا ينصرف وهو بدل من قوله لأبيه أو عطف بيان وهو أشبه وعلى قول من جعله نعتاً لا ينصرف أيضاً كأحمر وأسود فأما من زعم أنه منصوب لكونه معمولاً لقوله ( أتتخذ أصناماً ) تقديره يا أبت أتتخذ آزر أصناماً آلهة فانه قول بعيد في اللغة فان ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله لأن له صدر الكلام كذا قرره ابن جرير وغيره وهو مشهور في قواعد العربية والمقصود أن إبراهيم وعظ أباه في عبادة الأصنام وزجره عنها ونهاه فلم ينته كما قال ( وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة ؟ ) أى أتأله لصنم تعبده من دون الله ( إني أراك وفومك ) أى السالكين مسلكك ( في ضلال مبين ) أى تائهين لا يهتدون أين يسلكون بل في حيرة وجهل وأمركم في الجهالة والضلال بين واضح لكل ذى عقل سليم . وقال تعالى ( واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً \* إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً \* يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً \* يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً \* يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً \* قال أراغت أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمك واهجرني ملياً \* قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان نبى حفياً \* وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقياً ) فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه كما قال تعالى ( وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ) وثبت في الصحيح أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة فيقول له آزر يا بني اليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم أى رب ألم تعدنى أنك لا تخزنى يوم يبعثون وأى خزى أخزى من أبى الأبعد ؟ فيقال يا إبراهيم انظر ما وراءك فإذا هو بنج متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار وقوله ( وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ) أى نبين له وجه الدلالة في نظره الى خلقه ما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه وأنه لا اله غيره ولا رب سواه كقوله ( قل انظروا ماذا في السموات والأرض ) وقوله ( أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ) وقال ( أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن فى ذلك لآية لكل عبد منيب ) وأما ما حكاه ابن جرير وغيره عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدى وغيرهم قالوا واللفظ لمجاهد فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الأرضون السبع فنظر الى ما فيهن وزاد غيره فجعل ينظر الى العباد على المعاصى ويدعو عليهم فقال الله له انى أرحم بعبادى منك لعلمهم أن يتوبوا أو يرجعوا . وروى ابن مردويه فى ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعلى ولكن لا يصح إسنادها والله أعلم وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس فى قوله ( وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ) فانه تعالى جلاله الأمر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله إنك لا تستطيع هذا فرده كما كان قبل ذلك فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عياناً ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما فى ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه عن معاذ بن جبل فى حديث النمام « أتأنى ربى فى أحسن صورة فقال يا محمد فىم يختصم الملائ الأعلی ؟ فقلت لا أدرى يا رب ، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين يدي فتجلى لى كل شيء وعرفت ذلك » وذكر الحديث . وقوله ( وليكون من الموقنين ) قيل

الوأت زائدة تقديره وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين كقوله ( وكذلك تفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ) وقيل بل هي على بابها أى نزيه ذلك ليكون عالماً وموقناً وقوله تعالى ( فلما حن عليه الليل ) أى تغشاه وستره ( رأى كوكباً ) أى نحماً ( قال هذا ربى فلما أفل ) أى غاب قال محمد بن إسحاق بن يسار الأفل: الذهب، وقال ابن جرير يقال أفل النجم يأفل ويأفل أفولاً وأفلاً إذا غاب ومنه قول ذى الرمة :

مصاييح ليست باللواتى تقودها \* دباح<sup>(١)</sup> ولا بالآفلات الزوائل<sup>(٢)</sup>

وقال ابن أفلت عنا ؟ بمعنى أين غبت عنا : قال ( لا أحب الآفلين ) قال قتادة علم أن ربه دائم لا يزول فلما رأى القمر بازغاً ( أى طالماً ) قال هذا ربى فلما أفل قال ( لأن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين \* ) ( فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ) أى هذا النير الطالع ربى ( هذا أكبر ) أى جرماً من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة ( فلما أفلت ) أى غابت ( قال يا قوم إني برىء مما تشركون \* إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ) أى أخلصت دينى وأفردت عبادتى ( للذى فطر السموات والأرض ) أى خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ( حنيفاً ) أى فى حال كونى حنيفاً أى مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال ( وما أنا من المشركين ) وقد اختلف المفسرون فى هذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة فروى ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس ما يقتضى أنه مقام نظر واختاره ابن جرير مستدلاً بقوله ( لأن لم يهدنى ربى ) الآية وقال محمد بن إسحاق قال ذلك حين خرج من السرب الذى ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من عمرو بن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل الغلمان عامثاً فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان فى هذا المقام مناظراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام فينبى فى المقام الأول مع أيه خطأهم فى عبادة الأصنام الأرضية التى هى على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكة ليشفعوا لهم عنده فى الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون إليه . وبين فى هذا المقام خطأهم وضلالهم فى عبادة الهياكل وهى الكواكب السيارة السبعة المتحيرة وهى القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فينبى أولاً صلوات الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية فإنها مسخرة مقدره بسير معين لا تزيغ عنه يمينا ولا شمالاً ولا تملك لنفسها تصرفاً بل هى جرم من الأجرام خلقها الله منيرة لما له فى ذلك من الحكم العظيمة وهى تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه ثم تبدو فى الليلة القابلة على هذا النوال ومثل هذه لا تصلح للإلهية ثم انتقل إلى القمر فينبى فيه مثل ما بين فى النجم ثم انتقل إلى الشمس كذلك فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التى هى أنور ما تقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع ( قال يا قوم إني برىء مما تشركون ) أى أنا برىء من عبادتهم وموالاتهم فان كانت آلهة فكيدونى بها جميعاً ثم لا تنظرون ( إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ) أى إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذى بيده ملكوت كل شىء وخالق كل شىء وربى ومليكه وإليه كما قال تعالى ( إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ) وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظراً فى هذا المقام وهو الذى قال الله فى حقه ( ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكناه عالمين \* إذ قال لأبيه وقومه أهذه التماثيل التى أتت لها عاكفون ) الآيات وقال تعالى ( إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين \* شاكراً لأنعمه اجتباة وهداه إلى صراط مستقيم \* وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين \* ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ) وقال تعالى ( قل

(١) فى المكية نجوم (٢) وفيها أيضا الدوالك .

إني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ) وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « كل مولود يولد على الفطرة » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال « قال الله إني خلقت عبادي حنفاء » وقال الله في كتابه العزيز ( فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ) وقال تعالى ( وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى ) ومعناه على أحد القولين كقوله ( فطرت الله التي فطر الناس عليها ) كما سيأتي بيانه . فإذا كان هذا في حق سائر الخليفة فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ناظراً في هذا المقام بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً لقوله تعالى

﴿ وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ \* وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ \* وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظروه بشبهه من القول أنه قال ( أتأجوني في الله وقد هدان ) أي تجادلوني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرتني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقوله ( ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً ) أي ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً وأنا لا أخافها ولا أباليها فإن كان لها كيد فكيدوني بها ولا تتظرون بل عاجلوني بذلك . وقوله تعالى ( إلا أن يشاء ربي شيئاً ) استثناء منقطع أي لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل ( وسع ربي كل شيء علماً ) أي أحاط علمه بجميع الأشياء فلا تخفي عليه خافية ( أفلا تتذكرون ) أي فيما بينت لكم أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتزجروا عن عبادتها وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد فيما قص عنهم في كتابه حيث يقول ( قالوا يا هود ما جئناك بآية من ربك إلا أنك تتكلمون عوجاً مبهمين \* إن تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله وأشهدوا أي برى عما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون \* إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها ) الآية وقوله ( وكيف أخاف ما أشركتم ) أي كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله ( ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما ينزل به عليكم سلطاناً ) قال ابن عباس وغير واحد من السلف أي حجة وهذا كقوله تعالى ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ) وقوله تعالى ( إن هي إلا أسماء ميمتوها أتم وآبؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان ) وقوله ( فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ) أي فأى طائفتين أصوب الذى عبد من يده الضر والنفع أو الذى عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة لا شريك له قال الله تعالى ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) أي هؤلاء الذى أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة المهتدون فى الدنيا والآخرة

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت ( ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ) قال أصحابه وأينما لم يظلم نفسه ؟ فنزلت ( إن الشرك لظلم عظيم ) وقال الإمام أحمد

حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله أين لا يظلم نفسه؟ قال «إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ (يَا بَنِي لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكَ»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وابن إدريس عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ قالوا وأين لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا قَالَ لِابْنِهِ (يَا بَنِي لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)» وحدثنا عمر بن تغلب النمرى حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) رواه البخاري وفي لفظ قالوا أين لم يظلم نفسه فقال النبي ﷺ «لَيْسَ بِالَّذِي تَعْنُونَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكَ» ولابن أبي حاتم عن عبد الله مرفوعاً قال (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال «بشرك» قال وروى عن أبي بكر الصديق وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمرو بن شرحبيل وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والنخعي والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد نحو ذلك، وقال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا محمد بن شداد المسمعي حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال رسول الله ﷺ «قِيلَ لِي أَنْتَ مِنْهُمْ» وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا أبو جناب عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فلما برزنا من المدينة إذا ركب يوضع نحونا فقال رسول الله ﷺ «كأن هذا الراكب إياكم يريد» فأنهى إلينا الرجل فسلم فرددنا عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «من أين أقبلت؟» قال من أهلي وولدي وعشيرتي قال: «فأين تريد؟» قال أريد رسول الله ﷺ قال «فقد أصبته» قال يا رسول الله علمني ما الإيمان قال «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت» قال قد أقررت قال ثم إن بعيره دخلت يده في حجر جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوق على هامته فأت فقال رسول الله ﷺ «عليّ بالرجل» فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه فقالا: يا رسول الله قبض الرجل قال فأعرض عنهما رسول الله ﷺ ثم قال لهما رسول الله ﷺ «أما رأيكما إعراضى عن الرجل فأنى رأيت ملكين يدرسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعاً» ثم قال رسول الله ﷺ «هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية» ثم قال «دونكم أخاكم» فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على شفير القبر فقال «الحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا» ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد بن جعفر الفراء عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد الله فذكر نحوه وقال فيه هذا ممن عمل قليلاً وأجر كثيراً، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا مهرا بن أبي عمر حدثنا علي بن عبد الله عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساره إذ عرض له أعرابي فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد خرجت من بلادى وتلادى ومالى لأهتدى بهداى وآخذ من قولك وما بلغتك حتى مالى طعام إلا من خضر الأرض فأعرض على فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل فازدحمتا حوله فدخل خف بكره في بيت جرذان فتردى الأعرابي فانكسرت عنقه فقال رسول الله ﷺ «صدق والذي بعثني بالحق لقد خرج من بلاده وتلاده وماله لهتدى بهداى وآخذ من قولى وما بلغنى حتى ماله طعام إلا من خضر الأرض أسمعتم بالذى عمل قليلاً وأجر كثيراً؟ هذا منهم. أستمتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون؟ فان هذا منهم» وفي لفظ قال «هذا عمل قليلاً وأجر كثيراً» وروى ابن مردويه من

حديث محمد بن يعلى الكوفي وكان نزل الري حدثنا يزيد بن خيشمة عن أبي داود عن عبد الله بن سخرية قال: قال رسول الله ﷺ « من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر » وسكت قال: فقالوا يا رسول الله ماله ؟ قال ( أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) وقوله ( وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ) أى وجهنا حجته عليهم قال مجاهد وغيره يعنى بذلك قوله ( وكيف أخاف ما شركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ) الآية وقد صدقه الله وحكى له بالأمن والهداية فقال ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) ثم قال بعد ذلك كله ( وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ) قرى بالاضافة وبلا إضافة كما فى سورة يوسف وكلاهما قريب فى المعنى وقوله ( إن ربك حكيم عليم ) أى حكيم فى أقواله وأفعاله عليم أى بمن يهديه ومن يضلّه وإن قامت عليه الحجج والبراهين كما قال ( إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) ولهذا قال ههنا ( إن ربك حكيم عليم )

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ \* وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَمَنْ يَكْفُرْ بِهَا هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمَا كُنَّا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أقتَدِهِ قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴾

يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحق بعد أن طعن فى السن وأيس هو وامراته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروها بإسحق فتعجبت المرأة من ذلك وقالت ( يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب ) وقالوا أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ) فبشروها مع وجوده بنبوته وبأن له نسلا وعقبا كما قال تعالى ( وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين ) وهذا أكل فى البشارة وأعظم فى النعمة وقال ( فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ) أى ويولد لهذا المولود ولد فى حياتكما فتقر أعينكما به كآقرت بوالده فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذى فيه اشتقاق العقب والذرية وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله فى الأرض فعوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقربهم عنه كما قال تعالى ( فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ) وقال ههنا ( ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ) وقوله ( ونوحا هدينا من قبل ) أى من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة ، أما نوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به وهم الذين صحبوه فى السفينة جعل الله ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذريته ، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبيا إلا من ذريته كما قال تعالى ( وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ) الآية وقال تعالى ( ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب ) وقال تعالى ( أولئك الذين أنعم الله عليهم من

النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقوله في هذه الآية الكريمة (ومن ذريته) أي وهدينا من ذريته (داود وسليمان) الآية وعود الضمير إلى نوح لأنه أقرب المذكورين ظاهر لإشكال فيه وهو اختيار ابن جرير . وعوده إلى إبراهيم لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن لكن يشكل عليه لوط فإنه ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن أخيه هاران بن أزر اللهم إلا أن يقال إنه دخل في الذرية تغليا كما في قوله (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) فإسماعيل عمه دخل في آبائه تغليا ، وكما قال في قوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس) فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود وذم على المخالفة لأنه كان في تشبه بهم فعومل معاملتهم ودخل معهم تغليا وإلا فهو كان من الجن وطبعته من النار والملائكة من النور وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية إبراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فإنه لا أب له . قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل ابن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا علي بن عباس عن عبدالله بن عطاء السكي عن أبي حرب بن أبي الأسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم بحده في كتاب الله - وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال أليس تقرأ سورة الأنعام (ومن ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (ويحيى وعيسى) قال بلى . قال أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال صدقت . فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنوبه واحتجوا بقول الشاعر العربي :

بنونا بنو أبائنا وبناتنا \* بنوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون . ويدخل بنو البنات فيهم أيضا لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال للحسن ابن علي « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتيين عظيمتين من المسلمين » فسماه ابنا فدل على دخوله في الأبناء . وقال آخرون : هذا تجوز ، وقوله (ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم) ذكر أصولهم وفروعهم ، وذوى طبقتهم وأن الهداية والاجتباء شاملهم كلهم ولهذا قال (واجتبتناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم) ثم قال تعالى (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهديته إياهم (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) تشديد لأمر الشرك وتعليظ لشأنه وتعظيم لملاسته كقوله تعالى (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحطن عملك) الآية ، وهذا شرط والشرط لا يقتضى جواز الوقوع كقوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وكقوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا عابدين) وكقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) : وقوله تعالى (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) أي أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم ولطفنا منا بالخلق (فإن يكفر بها) أي بالنبوة ، ويحتمل أن يكون الضمير عائدا على هذه الأشياء الثلاثة الكتاب والحكم والنبوة ، وقوله (هؤلاء) يعني أهل مكة قاله ابن عباس وسعيد ابن المسيب والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) أي إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومليين وكتائبين فقد وكلنا بها قوما آخرين ، أي المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة (ليسوا بها بكافرين) أي لا يجحدون منها شيئا ولا يردون منها حرفا واحدا بل يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه ثم قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمد ﷺ (أولئك) يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والاخوان وهم الأشباه (الذين هدى الله) أي هم أهل الهدى لا غيرهم (فهداهم اقتده) أي اقتد واتبع ، وإذا كان هذا أمرا للرسول صلى الله عليه وسلم فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به قال البخاري عد هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جرير

أخبرهم قال أخبرني سليمان الأحول أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس أفي (ص) سجدة؟ فقال نعم ثم تلا (ووهبنا له إسحق ويعقوب) إلى قوله (فبهدهم اقتده) ثم قال هومنهم ، زاد يزيد بن هرون وعهد بن عبيد وسهيل بن يوسف عن العوام عن مجاهد قلت لابن عباس فقال نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم وقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا) أي لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن أجرا أي أجرة ولا أريد منكم شيئاً (إن هو إلا ذكرى للعالمين) أي يتذكرون به فيرشدوا من العمى إلى الهدى ، ومن الغي إلى الرشاد ومن الكفر إلى الإيمان

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيُتْلَوْنَهَا وَيَخْفَوْنَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ \* وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

يقول الله تعالى وماعظموا الله حق تعظيمه إذ كذبوا رسله اليهم : قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير نزلت في قریش واختاره ابن جرير ، وقيل نزلت في طائفة من اليهود . وقيل في فنجاص رجل منهم . وقيل في مالك بن الصيف (قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) والاول أصح لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء وقریش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر كما قال (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) وكقوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وقال هاهنا (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) قال الله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله في جواب سلهم العام بآيات قضية جزئية موجبة (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) وهو التوراة التي قد علمت وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورا وهدى للناس أي ليستضاء بها في كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشبهات وقوله (تجعلونه قرآنا يتدونها وتخفون كثيرا) أي تجعلون جملتها قرآنا أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتخفون منها ما تخفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال (تجعلونه قرآنا يتدونها وتخفون كثيرا) وقوله تعالى (وعلمت ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك لأنتم ولا آباؤكم وقد قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب (١) وقال مجاهد هذه للمسلمين وقوله تعالى (قل الله) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس أي قل الله أنزل ، وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة ، لا ما قاله بعض المتأخرين من أن معنى (قل الله) أي لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة كلمة « الله » وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب والأتان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها ، وقوله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد الله المتقين؟ وقوله (وهذا كتاب) يعني القرآن (أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى) يعني مكة (ومن حولها) من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم كما قال في الآية الأخرى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) وقال (لأنذركم به ومن بلغ) وقال (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقال (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال (وقل للذين أتوا الكتاب والأمةين أسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وثبت في (١) قيل إن هذه نزلت مرتين مرة بمكة والمحطاب فيها للمشركين . ولعلها قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويجعلونه بالياء ، ومرة بالمدينة . ولعلها قراءة تجعلونه بالياء لأنه خطاب لليهود .

الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي » وذكر منهم « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة » ولهذا قال ( والذين يؤمنوا بالآخرة يؤمنون به ) أى كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك الذى أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن ( وهم على صلاتهم يحافظون ) أى يقيمون بما فرض عليهم من أداء الصلوات فى أوقاتها

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ \* وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾

يقول تعالى ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ) أى لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء أولاد أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله ولهذا قال تعالى ( أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ) قال عكرمة وقتادة نزلت فى مسيلة الكذاب ( ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ) أى ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي بما يفتره من القول كقوله تعالى ( وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ) الآية قال الله تعالى ( ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت ) أى فى سكراته وغمراته وكرباته ( والملائكة باسطوا أيديهم ) أى بالضرب كقوله ( لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ) الآية وقوله ( يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ) الآية وقال الضحاك وأبو صالح باسطوا أيديهم أى بالعذاب كقوله ( ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ) ولهذا قال ( والملائكة باسطوا أيديهم ) أى بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أحسادهم ولهذا يقولون لهم ( أخرجوا أنفسكم ) وذلك أن الكافر إذ احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحجم وغضب الرحمن الرحيم فتنفرد روحه فى جسده وتعصى وتأبى الخروج فضرهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم فائلين لهم ( أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ) الآية أى اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والالتقاد لرسوله ، وقد وردت الأحاديث المنواترة فى كيفية احتضار المؤمن والكافر وهى مقررة عند قوله تعالى ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ) وقد ذكر ابن مردويه هنا حديثا مطولا جداً من طريق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا فأنه أعلم ، وقوله ( ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ) أى يقال لهم يوم معادهم هذا كما قال ( وعرضوا على ربك صفا لجد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ) أى كما بدأناكم أعدناكم وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه فهذا يوم البعث ، وقوله ( وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ) أى من النعم والأموال التى اقتنيتموها فى الدار الدنيا وراء ظهوركم ، وثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يقول ابن آدم مالى مالى وهى لك من مالك إلا ما أكلت فأفئيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت ، وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس » وقال الحسن البصرى : يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بنج فيقول الله عز وجل أين ما جمعت ؟ فيقول يا رب جمعت وتركته أوفر ما كان فيقول له يا ابن آدم أين ما قدمت لنفسك ؟ فلا يراه قدم شيئا ، وتلاهذه الآية ( ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ) الآية رواه ابن أبى حاتم ، وقوله ( وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فىكم شركاء ) تفرع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا فى الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ظانين أنها تنفعهم فى معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد فإذا كان

يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون ويناديهم الرب جل جلاله على رءوس الخلائق .  
 ( أين شركائ الذين كنتم تزعمون ؟ ) ويقال لهم ( أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل يصرونكم أو ينتصرون ؟ )  
 ولهذا قال ههنا ( وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ) أى فى العبادة لهم فيكم قسط فى استحقاق  
 العبادة لهم ، ثم قال تعالى ( لقد تقطع بينكم ) قرىء بالرفع أى شملكم وبالنصب أى لقد تقطع (١) ما بينكم من الأسباب  
 والوصلات والوسائل ( وضل عنكم ) أى ذهب عنكم ( ما كنتم تزعمون ) من رجاء الأصنام والأنداد كقوله تعالى ( إذ  
 تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب ونقطعت بهم الأسباب \* وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما  
 تبراؤنا منكم كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ) وقال تعالى ( فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم  
 يومئذ ولا يتساءلون ) وقال تعالى ( إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم  
 ببعض ويلعن بعضكم بعضا وما أولئك النار وما لكم من ناصرين ) وقال ( وقيل ادعوا شركاءكم فدعواهم فلم يستجيبوا لهم ) الآية  
 وقال ( ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا ( وضل عنهم ما كانوا يفترون ) والآيات فى هذا كثيرة جدا  
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْأُمِّتِ وَيُخْرِجُ الْأُمِّتَ مِنَ الْحَىِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْوُفْكَوْنِ \*  
 فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكُمْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ  
 لَكُمْ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى أى يشقه فى الثرى فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب والثمار على  
 اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها من النوى ولهذا فسر قوله ( فالق الحب والنوى ) بقوله ( يخرج من الحى من الميت  
 ويخرج الميت من الحى ) أى يخرج النبات الحى من الحب والنوى الذى هو كالجذات الميت كقوله ( وآية لهم الأرض  
 الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ) إلى قوله ( ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ) وقوله ( ويخرج الميت من الحى )  
 معطوف على ( فالق الحب والنوى ) ثم فسره ثم عطف عليه قوله ( ويخرج الميت من الحى ) وقد عبروا عن هذا وهذا  
 بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى ، فمن قائل يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه ومن قائل يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه  
 وغير ذلك من العبارات التى تنتظمها الآية وتشملها

ثم قال تعالى ( ذللكم الله ) أى فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له ( فأنى تؤفكون ) أى كيف تصرفون عن الحق  
 وتعدلون عنه إلى الباطل فتعبدون معه غيره وقوله ( فالق الإصباح وجعل الليل سكنا ) أى خالق الضياء والظلام كما قال  
 فى أول السورة ( وجعل الظلمات والنور ) أى فهو سبحانه يخلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضئ الوجود ، ويستنير  
 الأفق ، ويضمحل الظلام ، وينذهب الليل بسواده وظلام رواقه ، ويحيى النهار بضيائه وإشراقه ، كقوله ( يغشى الليل  
 النهار يطلبه حثيثا ) فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه فذكر أنه فالق  
 الإصباح وقابل ذلك بقوله ( وجعل الليل سكنا ) أى ساجيا مظلما لتسكن فيه الأشياء كما قال ( والضحى والليل إذا سجي )  
 وقال ( والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ) وقال ( والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها ) وقال صهيب الرومى رضى الله عنه  
 لامرأته وقد عاتبته فى كثرة سهره : إن الله جعل الليل سكنا إلا لصهيب إن صهيبا إذ ذكر الجنة طال شوقه وإذا ذكر  
 النار طار نومه رواه ابن أبى حاتم . وقوله ( والشمس والقمر حسبانا ) أى يجريان بحساب مقان مقدر لا يتغير ولا يضطرب  
 بل لكل منهما منازل يسلكها فى الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً كما قال ( هو الذى  
 جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل ) الآية وكما قال ( لا الشمس ينبنى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار  
 وكل فى فلك يسبحون ) وقال ( والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ) وقوله ( ذلك تقدير العزيز العليم ) أى الجميع  
 جار بتقدير العزيز الذى لا يمانع ولا يخالف ، العليم بكل شىء فلا يعزب عن علمه متقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ،

(١) فى نسخة الأزهر : انقطع .

وكثيرا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر يختم الكلام بالعزة والعلم كما ذكر في هذه الآية وكما في قوله ( وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون \* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ) ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيها في أول سورة حم السجدة قال ( وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم ) وقوله تعالى ( وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ) قال بعض السلف من اعتمد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه : أن الله جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر . وقوله ( قد فصلنا الآيات ) أي قديناها ووضحناها ( لقوم يعاون ) أي يعقلون ويعرفون الحق ويتجنبون الباطل

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى ( وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة ) يعني آدم عليه السلام ، كما قال ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ) وقوله ( فمستقر ومستودع ) اختلفوا في معنى ذلك فعن ابن مسعود وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وقيس بن أبي حازم ومجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والنسدي وعطاء الخراساني وغيرهم ( فمستقر ) أي في الأرحام فالواو أكثرهم ( ومستودع ) أي في الأصلاب وعن ابن مسعود وطائفة عكسه وعن ابن مسعود أيضا وطائفة فمستقر في الدنيا ومستودع حيث يموت ، وقال سعيد بن جبير فمستقر في الأرحام وعلى ظهر الأرض وحيث يموت ، وقال الحسن البصري المستقر الذي قدمنا فاستقر به عمله . وعن ابن مسعود ومستودع في الدار الآخرة والقول الأول أظهر والله أعلم ، وقوله تعالى ( قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ) أي يفهمون ويعون كلام الله ومعناه ، وقوله تعالى ( وهو الذي أنزل من السماء ماء ) أي بقدر مباركا ورزقا للعباد وإحياء وغيانا للخلائق رحمة من الله بخلقهم ( فأخرجنا به نبات كل شيء ) كقوله ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) ( فأخرجنا منه خضرا ) أي زرعنا وشجرا أخضر ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والتمر ولهذا قال تعالى ( نخرج منه حبا متراكبا ) أي يركب بعضه بعضا كالسنابل ونحوها ( ومن النخل من طلعها قنوان ) أي جمع قنوه وهي عذوق الرطب ( دانية ) أي قريبة من تناول كما قال علي بن أبي طلحة الوالي عن ابن عباس ( قنوان دانية ) يعني بالقنوان الدانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض رواه ابن جرير . قال ابن جرير وأهل الحجاز يقولون قنوان وقيس يقول قنوان . قال امرؤ القيس :

فأثت أعاليه وأدت أصوله \* ومال بقنوان من البسر أحمر

قال وتميم يقولون قنوان يالبياء قال وهي جمع قنوه كما أن صنوان جمع صنوه وقوله تعالى ( وجنت من أعناب ) أي ونخرج منه جنت من أعناب وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز وربما كانا خيار الثمار في الدنيا كما امتن الله بهما على عباده في قوله تعالى ( ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ) وكان ذلك قبل تحريم الخمر وقال ( وجعلنا فيها جنت من نخيل وأعناب ) وقوله تعالى ( والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ) قال قتادة وغيره متشابه في الورق والشكل قريب بعضه من بعض ومتخالف في الثمار شكلا وطعما وطبعا وقوله تعالى ( انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ) أي نضجه قاله البراء بن عازب وابن عباس والضحاك وعطاء الخراساني والنسدي وقتادة وغيرهم أي فكروا في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود بعد أن كان حطبا صار عنباً ووطيا وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح كقوله تعالى ( وفي الأرض قطع متجاورات وجنت من

أعصاب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) الآية ولهذا قال هاهنا (إن في ذلكم) أيها الناس (آيات) أي دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته (لقوم يؤمنون) أي يصدقون به ويتبعون به رسله

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره وأشركوا به في عبادته أن عبدوا الجن فجعلوهم شركاء له في العبادة تعالى الله عن شركهم وكفرهم . فان قيل فكيف عبدت الجن مع أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام ؟ فالجواب أنهم ما عبدوها إلا عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك كقوله (إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يعبدون إلا شيطانا مريدا \* لعنه الله وقال لأخذن من عبادك نصيبا مفروضا \* ولأضلنهم ولأمننهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا \* يعدمهم ويمنهم وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا) وكقوله تعالى (أتنتخذونه وذريته أولياء من دوني) الآية وقال إبراهيم لأبيه (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا) وكقوله (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين \* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) وتقول الملائكة يوم القيامة (سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ولهذا قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم) أي وقد خلقهم فهو الخالق وحده لاشريك له فكيف يعبد معه غيره كقول إبراهيم (أتعبدون ما تنتحون والله خلقكم وما تعملون) ومعنى الآية أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لاشريك له وقوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) ينبه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولدا كما يزعم من قاله من اليهود في عزير ومن قال من النصرى في عيسى ومن قال من مشركي العرب في الملائكة انها بنات الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ومعنى وخرقوا أي اختلقوا واثبتوا كذبوا وكذبوا كما قاله علماء السلف قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وخرقوا يعني تخرصوا وقال العوفي عنه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قال جعلوا له بنين وبنات وقال مجاهد (وخرقوا له بنين وبنات) قال كذبوا وكذا قال الحسن وقال الضحاك وضجوا وقال السدي قطعوا قال ابن جرير وتأويله إذا : وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياهم وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) بحقيقة ما يقولون ولكن جهلا بالله وبعظمته فانه لا ينبغي لمن كان إلها أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يشركه في خلقه شريك ولهذا قال (سبحانه وتعالى عما يصفون) أي تقدره وتنازه وتعظمه عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الاولاد والانداد والنظراء والشركاء

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صُحْبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(بديع السموات والأرض) أي مبدعها وخالقها ومنشئها ومحدثها على غير مثال سبق كما قال مجاهد والسدي ومه سميت البدعة بدعة لانه لا نظير لها فيما سلف (ألم يكن له ولد) أي كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة أي والولد إنما يكون متولدا بين شيئين متناسبين والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه لانه خالق كل شيء فلا صاحبة له ولا ولد كما قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا) إلى قوله (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) (وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء وأنه بكل شيء عليم فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ \* لَا تَدْرِكُهُ

الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

يقول تعالى ( ذلكم الله ربكم ) أى الذى خلق كل شىء وولاه له ولا صاحبة ( لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه ) أى فاعبدوه وحده لا شريك له وأقروا له بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو وأنه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل ( وهو على كل شىء وكيل ) أى حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه ويرزقهم ويكلامهم بالليل والنهار وقوله ( لا تدركه الأبصار ) فيه أقوال للأئمة من السلف ( أحدها ) لا تدركه فى الدنيا وإن كانت تراه فى الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ما طريق ثابت فى الصحاح والسنن كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمداً أبصر ربه فقد كذب وفى رواية على الله فان الله تعالى قال ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي الضحى عن مسروق ورواه غير واحد عن مسروق وثبت فى الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه وخالفها ابن عباس فعنه إطلاق الرؤية وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين والمسئلة تذكر فى أول سورة النجم إن شاء الله ، وقال ابن أبي حاتم ذكر محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى بن معين قال سمعت إسماعيل بن علية يقول فى قول الله تعالى ( لا تدركه الأبصار ) قال هذا فى الدنيا ، وذكر أبو عن هشام بن عبيد الله أنه قال نحو ذلك . وقال آخرون ( لا تدركه الأبصار ) أى جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له فى الدار الآخرة ، وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية أنه لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة فى ذلك مع ما ارتكبه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله . أما الكتاب فقوله تعالى ( وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة ) وقال تعالى عن الكافرين ( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) قال الإمام الشافعى قدل هذا على أن المؤمنين لا يحبون عنه تبارك وتعالى . أما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجريج وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين يرون الله فى الدار الآخرة فى العرصات وفى روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين وقيل المراد بقوله ( لا تدركه الأبصار ) أى العقول رواه ابن أبي حاتم عن طي بن الحسين عن الفلاس عن ابن مهدي عن أبي الحصين يحيى بن الحصين قارىء أهل مكة أنه قال ذلك وهذا غريب جداً وخلاف ظاهر الآية وكأنه اعتقد أن الإدراك فى معنى الرؤية والله أعلم

وقال آخرون لا مناقاة بين إثبات الرؤية ونفى الإدراك وأخص من الرؤية فإن الإدراك لا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم . ثم اختلف هؤلاء فى الإدراك المنفى ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنون كما أن من رأى القمر فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيتسه فالعظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى . قال ابن علية فى الآية هذا فى الدنيا رواه ابن أبي حاتم

وقال آخرون الإدراك أخص من الرؤية وهو الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم قال تعالى ( ولا يحيطون به علماً ) وفى صحيح مسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا . قال العوفي عن ابن عباس فى قوله تعالى ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) قال لا يحيط بصرة أحد بالملك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا أسباط عن سماك عن عكرمة أنه قيل له ( لا تدركه الأبصار ) قال أأنت ترى السماء ؟ قال بلى قال فكيف ترى ؟ وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة فى الآية ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) هو أعظم من أن تدركه الأبصار

وقال ابن جرير حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا أبو عرفة عن عطية العوفي فى قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة ) قال هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره محيط بهم فذلك قوله ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) وورد فى تفسير هذه الآية حديث رواه ابن أبي حاتم ههنا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحارث السهمي حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) قال « لو أن الجن والإنس

والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله أبداً « غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ولم يروه أحد من أصحاب الكتب السنة والله أعلم

وقال آخرون في الآية بما رواه الترمذى في جامعه وابن أبي عاصم في كتاب السنة له وابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه أيضاً والحاكم في مستدركه من حديث الحكم بن أبان قال سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول رأى محمد ربه تبارك وتعالى فقلت أليس الله يقول ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) الآية فقال لى لا أم لك ذلك نوره الذى هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شىء ، وفي رواية لا يقوم له شىء ، قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفي معنى هذا الأثر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه مرفوعاً « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجاباً للنور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وفي الكتب المتقدمة إن الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية : يا موسى إنه لا يرانى حتى إلا مات ولا يابس إلا تدهده . أى تدعثر وقال تعالى ( فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ) ونفى هذا الأثر الادراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتنزه فلا تدركه الأبصار ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تثبت الرؤية فى الدار الآخرة وتنفيها فى الدنيا وتحتج بهذه الآية ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) فالذى نفته الادراك الذى هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه فان ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا لشىء وقوله ( وهو يدرك الأبصار ) أى يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه لأنه خلقها كما قال تعالى ( ألا يعلم من خلقى هو اللطيف الخبير ) وقد يكون عبر بالأبصار عن البصرين كما قال السدى فى قوله ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) لا يراه شىء وهو يرى الخلاق وقال أبو العالية فى قوله تعالى ( وهو اللطيف الخبير ) قال اللطيف لاستخراجها الخبير بمكانها والله أعلم وهذا كما قال تعالى إخباراً عن لقمان فى عظة به ابنه ( يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى سموات أو فى الأرض يأت بها إن الله لطيف خبير )

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ \* وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

البصائر هى البينات والحجج التى اشتمل عليها القرآن وما جاء به الرسول ﷺ ( فمن أبصر فلنفسه ) كقوله ( فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ) ولهذا قال ( ومن عمى فعليها ) لما ذكر البصائر قال ( ومن عمى فعليها ) أى إنما يعود وباله عليه كقوله ( فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ) ( وما أنا عليكم بحفيظ ) أى بحافظ ولا رقيب بل إنما أنا مبلغ والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وقوله ( وكذلك نصرف الآيات ) أى وكما فصلنا الآيات فى هذه السورة من بيان التوحيد وأنه لا إله إلا هو هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها فى كل موطن لجهالة الجاهلين وليقول المشركون والكافرون المكذبون دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم هكذا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقال الطبرانى حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبو حذيثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن كيسان قال سمعت ابن عباس يقول دارست تلوت خاصمت جادلت وهذا كقوله تعالى إخباراً عن كذبهم وعنادهم ( وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ) الآية وقال تعالى إخباراً عن زعيمهم وكذبهم ( إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ) ، وقوله ( ولنبينه لقوم يعلمون ) أى ولنوضحه لقوم

يعلمون الحق فيتبعونه والباطل فيجتنبونه فله تعالى الحكمة النالعة في إضلال أولئك وبيان الحق لهؤلاء كقوله تعالى (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً) الآية وكقوله (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقال (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) وقال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى أنزل القرآن هدى للمتقين وأنه يضل به من يشاء ويهدي به من يشاء ولهذا قالها هنا (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا دارست ولبينه لقوم يعلمون) وقرأ بعضهم (درست) قال التميمي عن ابن عباس درست أي قرأت وتعلمت وكذا قال مجاهد والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال عبد الرزاق عن معمر قال الحسن (وليقولوا درست) يقول تقادمت وانمحت وقال عبد الرزاق أيضاً أنبأنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت ابن الزبير يقول إن صبيانا يقرأون ها هنا دارست وإنما هي درست وقال شعبة حدثنا أبو إسحق الهمداني قال هي في قراءة ابن مسعود درست يعني بغير ألف بنصب السين ووقف على التاء قال ابن جرير ومعناه انمحت وتقادمت أي أن هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديماً وتطاولت مدته وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنه قرأها درست أي قرئت وتعلمت وقال معمر عن قتادة درست قرئت وفي حرف ابن مسعود درس وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا حجاج عن هرون قال هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود وليقولوا درس قال يعنون النبي ﷺ أنه قرأ وهذا غريب فقد روى عن أبي بن كعب خلاف هذا قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن ليث حدثنا أبو سلمة حدثنا أحمد بن أبي بزة (١) السكي حدثنا وهب بن زمعة عن أبيه عن حميد الأعرج عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال أقرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وليقولوا درست) ورواه الحاكم في مستدركه من حديث وهب بن زمعة وقال يعني بجزم السين ونصب التاء ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه

( اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ \* وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ )

يقول تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولن اتبع طريقته ( اتبع ما أوحى إليك من ربك ) أي اقتد به واقف أثره واعمل به فإن ما أوحى إليك من ربك هو الحق الذي لا مزية فيه لأنه لا إله إلا هو ( وأعرض عن المشركين ) أي اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم واعلم أن الله حكيم في إضلالهم فانه لو شاء لهدى الناس جميعاً ولو شاء لجمعهم على الهدى ( ولو شاء الله ما أشركوا ) أي بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقوله تعالى ( وما جعلناك عليهم حفيظاً ) أي حافظاً تحفظ أقوالهم وأعمالهم ( وما أنت عليهم بوكيل ) أي موكل على أرزاقهم وأمورهم ( إن عليك إلا البلاغ ) كما قال تعالى ( فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر ) وقال ( إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب )

( وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ )

يقول الله تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو (الله لا إله إلا هو) كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قالوا يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوئانهم (فيسبوا الله عدواً بغير علم) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة كان للسامون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدواً بغير علم فأنزل الله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في تفسير هذه الآية لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فإننا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعهم فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البختري وبعثوا رجلاً منهم يقال له المطلب قالوا استأذن لنا على أبي طالب فأبى أباطال فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم عليه فدخلوا عليه فقالوا يا أباطال أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإله فدعاه فجاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوطالب هؤلاء قومك وبنو عمك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتريدون؟ » قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا ولندعك وإلهك فقال النبي ﷺ « أرايتم إن أعطيتكم هذا هل أتم معطي كلمة إن تكلمتم بها العرب ودانت لكم بها العجم وأدت لكم الحراج » قال أبو جهل وأبيك لنعطيتكها وعشرة أمثالها قالوا فما هي؟ قال « قولوا لا إله إلا الله » فأبوا واشمأزوا قال أبو طالب يا ابن أخي قل غيرها فان قومك قد فزعوا منها قال « يا عمو ما أنا بالذي يقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي ولوأوتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها » إرادة أن يؤسبهم فغضوا وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أولنشتعنك ونشتعن من يأمرك فذلك قوله (فيسبوا الله عدواً بغير علم) ومن هذا القبيل وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها ماجاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ملعون من سب والديه » قالوا يارسول الله وكيف يسب الرجل والديه، قال « يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه » أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقوله (كذلك زينا لكل أمة عملهم) أي وكازينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والحمامة لها والاتصار كذلك زينا لكل أمة أي من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه والله الحجة البالغة والحكمة التامة فما يشاؤه ويختاره (ثم إلى ربهم مرجعهم) أي معادهم ومصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) أي يجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ \* وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

يقول تعالى إخباراً عن المشركين أنهم أقسموا بالله جهداً أيانهم أي حلفوا أيماناً مؤكدة (لئن جاءتهم آية) أي معجزة وخرق (ليؤمنن بها) أي ليصدقنها (قل إنما الآيات عند الله) أي قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتا وكفرا وعناداً لا على سبيل الهدى والاسترشاد إنما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء ترككم قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله ﷺ قريش فقالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي شيء تحبون أن آتيكم به، » قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً فقال لهم « فإن فعلت تصدقوني » قالوا نعم والله لئن فعلت لتبعنك أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ما شئت إن شئت أصبح الصفا ذهباً ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل يتوب تائبهم » فأنزل الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) إلى قوله تعالى (ولكن أكثرهم يجهلون)

وهذا مرسل وله شواهد من وجوه آخر . وقال الله تعالى ( وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ) الآية وقوله تعالى ( وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ) قيل المخاطب بما يشعركم المشركون ، وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم وما يدريك بصدقكم في هذه الأيمان التي تقسمون بها وعلى هذا فالقراءة ( إنها إذا جاءت لا يؤمنون ) بكسر إنها على استئناف الخبر عنهم بنى الأيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها ، وقرأ بعضهم ( أنها إذا جاءت لا تؤمنون ) بالتاء المثناة من فوق وقيل المخاطب بقوله وما يشعركم المؤمنون يقول وما يدريك أيها المؤمنون وعلى هذا فيجوز في قوله ( أنها ) الكسر كالأول والفتح على أنه معمول يشعركم وعلى هذا فتكون لا في قوله ( أنها إذا جاءت لا يؤمنون ) صلة كقوله ( ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ) وقوله ( وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ) أي ما منعك أن تسجد إذ أمرتك وحرام أنهم لا يرجعون وتقديره في هذه الآية وما يدريك أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصاً على إيمانهم أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون قال بعضهم أنها بمعنى لعلها قال ابن جرير وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب قال وقد ذكر عن العرب سماعا اذهب إلى السوق انك تشتري لنا شيئاً بمعنى لعلك تشتري قال وقد قيل إن قول عدى ابن زيد العبادي من هذا : أعاذل ما يدريك أن منيتي \* إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكر عليه من شواهد أشعار العرب والله أعلم . وقوله تعالى ( ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ) قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر وقال مجاهد في قوله ( ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ) ونحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة وكذا قال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال أخبر الله ما العباد فائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال ( ولا ينبئك مثل خبير ) جل وعلا ( أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ) إلى قوله ( لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ) فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يكونوا على الهدى وقال ( ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ) وقال تعالى ( ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ) وقال ( ولوردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينهم في الدنيا وقوله ( ونذرهم ) أي نتركهم ( في طغيانهم ) قال ابن عباس والسدى في كفرهم . وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقنادة في ضلالهم ( يعمهون ) قال الأعمش يلعبون وقال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والربيع وأبو مالك وغيره في كفرهم يترددون

﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾

يقول تعالى ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فنزلنا عليهم الملائكة تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل كما سألو فقالوا ( أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ) ( قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ) ( وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ) ( وكلمهم الموتى ) أي فأخبرهم بصدق ما جاءتهم به الرسل ( وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ) قرأ بعضهم قبلاً بكسر القاف وفتح الباء من المقابلة والمعانية وقرأ آخرون بضمها قيل معناه من المقابلة والمعانية أيضاً كما رواه علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد قبلاً أي أفواجا قبلاً قبلاً أي تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاءهم به ( ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ) أي إن الهداية إليه لا إليهم بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد ( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ) لعلهم وحكمته وسلطانه وقهره وغلبته وهذه الآية كقوله تعالى ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم )

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ \* وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴾

يقول تعالى وكما جعلناك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ويعاندونك جعلنا لكل نبي من قبلك أيضا أعداء فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) الآية وقال تعالى (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) الآية وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وقوله (شياطين الإنس والجن) بدل من (عدوا) أي لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر ولا يعادى الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء قبحهم الله ولعنهم، قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله (شياطين الإنس والجن) قال من الجن شياطين ومن الإنس شياطين يوحى بعضهم إلى بعض، قال قتادة وبلغني أن أبا ذر كان يوما يصلي فقال النبي ﷺ «تعوذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن» فقال أو إن من الإنس شياطين فقال رسول الله ﷺ «نعم» وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر. وقد روى من وجه آخر عن أبي ذر رضى الله عنه، قال ابن جرير حدثنا الثني حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة عن ابن عائذ عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطال فيه الجلوس قال: فقال «يا أبا ذر هل صليت» قلت لا يا رسول الله قال «قم فاركع ركعتين» قال ثم جئت فجلست إليه فقال «يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس» قال قلت لا يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال «نعم هم شر من شياطين الجن» وهذا أيضا انقطاع، وروى متصلا كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا السعدي أنبأني أبو عمر الدمشقي عن عبيد بن الحسيحاس<sup>(١)</sup> عن أبي ذر قال أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال «يا أبا ذر هل صليت؟» قلت لا قال «قم فصل» قال فقممت فصليت ثم جلست فقال «يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن» قال قلت يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال «نعم» وذكر تمام الحديث بطوله وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث جعفر بن عون ويعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى ثلاثهم عن السعدي به.

(طريق أخرى عن أبي ذر) قال ابن جرير حدثنا الثني حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن حميد بن هلال حدثني رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال «يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن» قال قلت يا رسول الله هل للإنس من شياطين؟ قال «نعم»

(طريق أخرى للحديث) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «يا أبا ذر تعوذت من شياطين الجن والإنس» قال يا رسول الله وهل للإنس شياطين؟ قال «نعم» (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وقوله (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته والله أعلم، قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة (شياطين الإنس والجن) قال ليس في الإنس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن، قال وحدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا إسرائيل عن السدي عن عكرمة في قوله (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) قال للإنس شياطين وللجن شياطين فيلقى شيطان الإنس شيطان الجن فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، وقال أسباط عن السدي عن عكرمة في قوله (يوحى بعضهم إلى بعض)

(١) في نسخة الأميرية: مسحاس.

أما شياطين الإنس فالشياطين التي تضل الإنس وشياطين الجن التي تضل الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما لصاحبه إني أضلت صاحبي بكذا وكذا فأضل أنت صاحبك بكذا وكذا فيعلم بعضهم بعضا ، ففهم ابن جرير من هذا أن المراد بشياطين الإنس عند عكرمة والسدى الشياطين من الجن الذين يضلون الناس لا أن المراد منه شياطين الإنس منهم ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة وأما كلام السدى فليس مثله في هذا المعنى وهو محتمل وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم قال فيلتقى شياطين الإنس وشياطين الجن فيقول هذا لهذا أضلله بكذا فهو قوله ( يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ) وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر إن للانس شياطين منهم وشيطان كل شيء ما رده ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال « الكلب الأسود شيطان » ومعناه والله أعلم شيطان في الكلاب وقال ابن جرير قال مجاهد في تفسير هذه الآية كفار الجن شياطين يوحون إلى شياطين الإنس كفار الإنس زخرف القول غرورا ، وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال قدمت على المختار فأكرمني وأنزلى حتى كاد يتعاهد مبيتي بالليل ، قال : فقال لي أخرج إلى الناس فحدثهم قال فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ، فقلت الوحي وحيان قال الله تعالى ( بما أوحينا إليك هذا القرآن ) وقال تعالى ( شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ) قال فهموا بي أن يأخذوني فقلت لهم : ما لكم ذلك إني مفتيكم وضيغكم فتركوني ، وإنما عرض عكرمة بالمختار وهو ابن أبي عبيد قبحه الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أخته صفة تحت عبد الله ابن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه فقال صدق قال الله تعالى ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ) وقوله تعالى ( يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ) أي يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره ( ولو شاء ربك مافعلوه ) أي وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيتته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء ( فذرهم ) أي فدعهم ( وما يفترون ) أي يكذبون . أي دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم فإن الله كافيك وناصرك عليهم ، وقوله تعالى ( ولتصغى إليه ) أي ولتميل إليه . قاله ابن عباس ( أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ) أي قلوبهم وعقولهم وأسماعهم : وقال السدى : قلوب الكافرين ( ولبرضوه ) أي يحبوه ويريدوه ، وإنما يستجيب لذلك من لا يؤمن بالآخرة كما قال تعالى ( فإنكم وما تعبدون \* ما أتم عليه فبانتين \* إلا من هو صال الجحيم ) وقال تعالى ( إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك ) وقوله ( وليقتروا ما هم مقترفون ) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وليكتسبوا ما هم مكتسبون وقال السدى وابن زيد وليعملوا ما هم عاملون

﴿ أَفْصِرَ اللَّهُ أَبْتغَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُعَمَّرُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ \* وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهؤلاء المشركين بالله الذين يعبدون غيره ( أفصير الله أبتغى حكما ) أي بيني وبينكم ( وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ) أي مبينا ( والذين آتيناكم الكتاب ) أي من اليهود والنصارى يعلمون أنه منزل من ربك بالحق أي بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المتقدمين ( فلا تكونن من الممترين ) كقوله ( فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ) وهذا شرط والشرط لا يقتضى وقوعه ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا أشك ولا أسأل » وقوله تعالى ( وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ) قال قتادة صدقا فما قال وعدلا فما حكم يقول صدقا في الأخبار

وعدا في الطلب فكل ما أخبر به فحق لامرية فيه ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى ( يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ) إلى آخر الآية ( لا تبدل كلماته ) أى ليس أحد يعقب حكمه تعالى لافي الدنيا ولا في الآخرة ( وهو السميع ) لأقوال عباده ( العليم ) بحركاتهم وسكاتهم الذى يجازي كل عامل بعمله

﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ \* إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

يخبر تعالى عن حال أ أكثر أهل الأرض من بنى آدم أنه الضلال كما قال تعالى ( ولقد ضل قبلهم أ أكثر الأولين ) وقال تعالى ( وما أ أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) وهم فى ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم وإنما هم فى ظنون كاذبة وحسبان باطل ( إن يتبعون إلا الظن وإنهم إلا يخرصون ) فإن الخرص هو الحزر ومنه خرص النخل وهو حزر ما عليها من التمر وذلك كله عن قدر الله ومشيتته ( هو أعلم من يضل عن سبيله ) فيسره لذلك ( وهو أعلم بالمهتدين ) فيسره لهم لذلك وكل ميسر لما خلق له

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِبَنَائِقِهِ مُؤْمِنِينَ \* وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾

هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه ومفهومه أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات وأكل ما ذبح على النصب وغيرها ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه فقال ( وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم ) أى قديين لكم ما حرم عليكم ووضحه وقرأ بعضهم فصل بالتشديد وقرأ آخرون بالتحفيف والسكل بمعنى البيان والوضوح ( إلا ما اضطررتم إليه ) أى إلا فى حال الاضطرار فإنه يباح لكم ما وجدتم ثم بين تعالى جهالة المشركين فى آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى فقال ( وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافتراءهم

﴿ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنْ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

قال مجاهد ( وذرُوا ظاهر الإثم وباطنه ) العصية فى السر والعلانية وفى رواية عنه هو ما ينوى مما هو عامل وقال قتادة ( وذرُوا ظاهر الإثم وباطنه ) أى سره وعلانيته قليله وكثيره ، وقال السدى : ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات وباطنه الرنا مع الخليفة والصداق والأخدان وقال عكرمة ظاهره نكاح ذوات المحارم والصحيح أن الآية عامة فى ذلك كله وهى كقوله تعالى ( قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ) الآية ولهذا قال تعالى ( إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقتفون ) أى سواء كان ظاهرا أو خفيا فإن الله سيجزيهم عليه قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن ابن عرفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله ﷺ عن الإثم فقال « الإثم ما جازى فى صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه »

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَيْكُمُ الْيَهُودَ لِيُجْدِلُوكُمْ ﴾

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٦٩﴾

استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الديحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها وإن كان النابح مسلماً ، وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة على ثلاثة أقوال ، فمنهم من قال لا تحل هذه الديحة بهذه الصفة وسواء متروك التسمية عمداً أو سهواً وهو مروى عن ابن عمر ونافع مولاة وعامر الشعبي ومحمد بن سيرين وهو رواية عن الإمام مالك ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والتأخرين وهو اختيار أبي ثور وداود الظاهري واختار ذلك أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الأربعين واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية وبقوله في آية الصيد ( فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ) ثم قد أكد في هذه الآية بقوله ( وإنه لفسق ) والضمير قيل عائد على الأكل وقيل عائد على الذبح لغير الله وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الديحة والصيد كحديثي عدى بن حاتم وأبي نعلبة « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك » وما في الصحيحين ، وحديث رافع بن خديج « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » وهو في الصحيحين أيضاً وحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال للجن « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه » رواه مسلم ، وحديث جندب بن سفيان البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ذبح قبل أن يصلى فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله » أخرجاه وعن عائشة رضي الله عنها أن ناساً قالوا يارسول الله إن قومنا يأتوننا باللحم لاندري أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ قال « سموا عليه أتم وكلوا » قالت وكانوا حديثي عهد بالكفر رواه البخاري ، ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحدائث إسلامهم فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل لتكون كالعوض عن التروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت وأمرهم بأجراء أحكام المسلمين على السداد والله أعلم والمذهب الثاني في المسئلة أنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة فإن تركت عمداً أو نسياناً لا يضر وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل وهو رواية عن الإمام مالك ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه وحكى عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح والله أعلم . وحمل الشافعي الآية الكريمة ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ) على ما ذبح لغير الله كقوله تعالى ( أوفسقا أهل لغير الله به ) وقال ابن جرير عن عطاء ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) قال ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان وينهى عن ذبائح الجبوس وهذا المسلك الذي طرقه الإمام الشافعي قوى وقد حاول بعض التأخرين أن يقويه بأن جعل الواو في قوله ( وإنه لفسق ) حالية أي : لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقاً ولا يكون فسقاً حتى يكون قد أهل به لغير الله . ثم ادعى أن هذا متعين ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة لأنه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية وهذا ينتقض عليه بقوله ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ) فإنها عاطفة لا محالة فإن كانت الواو التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال امتنع عطف هذه عليها فان عطف على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره وإن لم تكن الواو حالية بطل ما قال من أصله والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) قال هي الميتة . ثم رواه عن أبي زرعة عن يحيى بن أبي كثير عن ابن لهيعة عن عطاء وهو ابن السائب به ، وقد استدلل لهذا المذهب بما رواه أبو داود في المراسيل من حديث ثور بن يزيد عن الصلت السدوسي مولى سويد بن ميمون أحد التابعين الذين ذكروهم أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات قال : قال رسول الله ﷺ « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أولم يذكر إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله » وهذا مرسل يعضد بما رواه الدارقطني عن ابن عباس أنه قال « إذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل كل فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله » واحتج البيهقي أيضاً بحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم أن ناساً قالوا يارسول الله إن قومنا حديثي عهد بجاهلية يأتوننا بلحم لاندري أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال « سموا أتم وكلوا » قال : فلو كان وجود التسمية شرطاً لم يرخص لهم إلا مع تحقها والله أعلم

المذهب الثالث في المسئلة إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانا لم يضر وإن تركها عمدا لم تحل هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه وإسحق بن راهويه وهو محكي عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصرى وأبي مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد وربيعة بن أبي عبد الرحمن ونقل الإمام أبو الحسن المرغيناني في كتابه الهداية الاجماع قبل الشافعي على تحريم متروك التسمية عمدا فلهذا قال أبو يوسف والشايخ لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الاجماع ، وهذا الذي قاله غريب جدا وقد تقدم نقل الخلاف عن قبل الشافعي والله أعلم . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله من حرم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول جميع الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك يعني ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أبو أمية الطرسوسي حدثنا محمد بن يزيد حدثنا معقل بن عبيد الله عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المسلم يكفيه اسمه إن نسي أن يسمى حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله » وهذا الحديث رفعه خطأ ، أخطأ فيه معقل بن عبيد الله الجزري فانه وإن كان من رجال مسلم إلا أن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي روياه عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن أبي الشعثاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله فزادا في إسناده أبا الشعثاء ووثقاه وهذا أصح ، نص عليه البيهقي وغيره من الحفاظ ثم نقل ابن جرير وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين أنهما كرها متروك التسمية نسيانا والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيرا والله أعلم إلا أن من قاعدة ابن جرير انه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنین مخالفا لقول الجمهور فيعده إجماعا فليعلم هذا والله الموفق قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن جهم بن يزيد قال سئل الحسن سأله رجل أتيت بطير كذا فنه ما قد ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه مانسي أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله ، قال وسألت محمد بن سيرين فقال: قال الله ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجه عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي ذر وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله وضع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » وفيه نظر والله أعلم ، وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث مروان بن سالم القرقي عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أرايت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى ، فقال النبي ﷺ « اسم الله على كل مسلم » ولكن هذا إسناده ضعيف فإن مروان بن سالم القرقي عن أبي عبد الله الشامي ضعيف تسكلم فيه غير واحد من الأئمة والله أعلم ، وقد أفردت هذه المسئلة على حدة وذكرت مذاهب الأئمة وما أخذهم وأدلهم ووجه الدلالات والناقضات والمعارضات والله أعلم

قال ابن جرير وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا ؟ فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنيت به ، وعلى هذا قول مجاهد وعامة أهل العلم وروى عن الحسن البصرى وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال الله ( فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ) وقال ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ) فنسخ واستثنى من ذلك فقال ( وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ) وقال ابن أبي حاتم قرأ على العباس بن الوليد بن يزيد حدثنا محمد بن شعيب أخبرني النعمان يعني ابن المنذر قال أنزل الله في القرآن ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال ( اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ) فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب . ثم قال ابن جرير والصواب أنه لا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه ، وهذا الذي قاله صحيح ومن أطلق من السلف النسخ هاهنا فإنما أراد التخصيص والله سبحانه وتعالى أعلم ، وقوله تعالى ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو بكر ابن عياش عن أبي إسحق قال : قال رجل لابن عمر إن الختار يزعم أنه يوحى إليه قال صدق وتلاه هذه الآية ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ) وحدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل قال كنت قاعدا

عند ابن عباس وحج المختار بن أبي عبيد فجاءه رجل فقال يا ابن عباس زعم أبو إسحق أنه أوحى إليه الليلة فقال ابن عباس صدق ، فنفرت ، وقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحي الله ووحى الشيطان فوحى الله إلى محمد ﷺ ووحى الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ) وقد تقدم عن عكرمة في قوله ( يوحى بعض إلى بعض زخرف القول غرورا ) نحو هذا وقوله ( ليجادلوكم ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عمران بن عينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال خاصمت اليهود النبي ﷺ فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ) هكذا رواه مرسلًا ورواه أبو داود متصلًا فقال حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عمران بن عينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) الآية وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأظي وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن عينة به . ورواه البراز عن محمد بن موسى الجرسى عن عمران بن عينة به وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة ( أحدها ) أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا ( الثاني ) أن الآية من الأنعام وهى مكية ( الثالث ) أن هذا الحديث رواه الترمذى عن محمد بن موسى الجرسى عن زياد بن عبد الله البكائى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه الترمذى بلفظ آتى ناس النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال حسن غريب وروى عن سعيد بن جبير مرسلًا وقال الطبرانى حدثنا علي بن المبارك حدثنا زيد بن المبارك حدثنا موسى بن عبد العزيز حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدًا وقولوا له فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب يعنى الميتة فهو حرام فنزلت هذه الآية ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعموهم إنكم لمشركون ) أى وإن الشياطين من فارس ليوحون إلى أوليائهم من قريش ، وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل حدثنا سمالك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ) يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أتم فكلوه فأنزل الله ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم عن عمرو ابن عبد الله عن وكيع عن إسرائيل به وهذا إسناد صحيح ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود ، فهذا هو المحفوظ لأن الآية مكية واليهود لا يحبون الميتة وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن عطاء بن سعيد بن جبير عن ابن عباس ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) إلى قوله ( ليجادلوكم ) قال يوحى الشياطين إلى أوليائهم تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله ؟ وفى بعض ألفاظه عن ابن عباس أن الذى قتلتم ذكر اسم الله عليه وأن الذى قدمات لم يذكر اسم الله عليه ، وقال ابن جرير قال عمرو بن دينار عن عكرمة إن مشركى قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبهم فارس فكتبت فارس إليهم ان محمدًا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكلونه وما ذبحوه هم يأكلونه فكتب بذلك المشركون إلى أصحاب رسول الله ﷺ فوقع فى أنفس ناس من المسلمين من ذلك شئ فأنزل الله ( وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعموهم إنكم لمشركون ) ونزلت ( يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ) وقال السدى فى تفسيره هذه الآية إن المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله فما قتل الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أتم تأكلونه ؟ فقال الله تعالى ( وإن أطعموهم ) فى أكل الميتة ( إنكم لمشركون ) وهكذا قاله مجاهد والضحاك وغير واحد من علماء السلف وقوله تعالى ( وإن أطعموهم إنكم لمشركون ) أى حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرع الله إلى قول غيره فقدتم عليه غيره فهذا هو الشرك كقوله تعالى ( اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أربابا من دون الله ) الآية وقد روى الترمذى فى تفسيرها عن عدى بن حاتم أنه قال يا رسول الله ما عبدوهم فقال « بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم »

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً أى فى الضلالة هالكا حائراً فأحياه الله أى أحيا قلبه بالايان وهداه له ووقفه لاتباع رسله ( وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس ) أى يهتدى كيف يسلك وكيف يتصرف به والنور هو القرآن كما رواه العوفى وابن أبى طلحة عن ابن عباس وقال السدى الاسلام والسلك صحيح ( كمن مثله فى الظلمات ) أى الجهالات والأهواء والضلالات المنفرقة ( ليس بخارج منها ) أى لا يهتدى إلى منفذ ولا مخلص مما هو فيه ، وفى مسند الامام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله خلق خلقه فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل » كما قال تعالى ( الله ولى الدين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) وقال تعالى ( آمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أم من يمشى سويلاً على صراط مستقيم ) وقال تعالى ( مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون ) وقال تعالى ( وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور \* إن أنت إلا نذير ) والآيات فى هذا كثيرة ووجه المناسبة فى ضرب المثلين ههنا بالنور والظلمات ما تقدم فى أول السورة ( وجعل الظلمات والنور ) وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلاً معيناً فقيل عمر بن الخطاب هو الذى كان ميتاً فأحياه الله وجعله نوراً يمشى به فى الناس وقيل عمار بن ياسر وأما الذى فى الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل عمرو بن هشام لعنه الله . والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر وقوله تعالى ( كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ) أى حسناتهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة قدرا من الله وحكمة بالغة لا إله إلا هو وحده لا شريك له

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مِّمَّنْهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى وكما جعلنا فى قريتك يا محمد أكبر من المجرمين ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله وإلى مخالفتك وعداوتك كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ) الآية وقال تعالى ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا متر فيها ففسقوا فيها ) الآية قيل معناه أمرناهم بالطاعة فخالقوا فدمرناهم وقيل أمرناهم أمراً قديراً كما قال ههنا ( ليكفروا فيها ) وقوله تعالى ( أكبر مجرميها ليكفروا فيها ) قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس ( أكبر مجرميها ليكفروا فيها ) قال سلطان شرارهم فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب . وقال مجاهد وقتادة ( أكبر مجرميها ) عظماؤها قتلت وهكذا قوله تعالى ( وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون \* وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ) وقوله تعالى ( وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ) والمراد بالمكر ههنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال كقولهم تعالى إخباراً عن قوم نوح ( ومكروا مكراً كباراً ) وقوله تعالى ( ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين

استكبروا لولا أتم لكننا مؤمنين \* قال الدين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين \* وقال الدين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان قال كل مكر في القرآن فهو عمل وقوله تعالى (وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) أي وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم كما قال تعالى (وليحملن أثقالهن وأنقلا مع أثقالهن) وقال (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألساء ما يزرون) . وقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أي إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة قالوا (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أي حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل كقوله جل وعلا (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) الآية ، وقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه كقوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم \* أم هم يقسمون رحمة ربك) الآية، يعنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم (من القريتين) أي من مكة والطائف وذلك أنهم قبهم الله كانوا يزدرون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بغيا وحسدا ، وعنادا واستكباراً كقوله تعالى مخبرا عنه (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا ، أهدأ الذي يذكر آلهتكم وهم يذكر الرحمن هم كفرون) وقال تعالى (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهدأ الذي بعث الله رسولا) وقال تعالى (ولقد استهزئ برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه ، وطهارة بيته ومرابه ، ومنشئه صلى الله وملائكته والمؤمنون عليه ، حتى أنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه « الأمين » وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبو سفيان حين سأله هرقل ملك الروم وكيف نسبه فيكم ؟ قال هو فينا ذونسب ، قال هل كنتم تنهونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا - الحديث بطوله الذي استدلل ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام على صدق نبوته وصحة ما جاء به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي عن شداد أبي عمار عن وائلة ابن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » انفرد باخراجه مسلم من حديث الأوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام به نحوه وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا قرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس فصعد المنبر فقال « من أنا ؟ » قالوا أنت رسول الله ، فقال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيوتا ، فأنا خيركم بيوتا وخيركم نفساً » صدق صلوات الله وسلامه عليه . وفي الحديث أيضا الروي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم » رواه الحاكم والبيهقي . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر حدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال : إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء . وقال أحمد حدثنا شجاع بن الوليد قال ذكر قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن سلمان قال : قال لي رسول الله ﷺ « يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك » قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ قال « تبغض العرب فتبغضني » وذكر ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية ذكر عن محمد بن منصور الجواز حدثنا سفيان عن أبي

حسين قال أبصر رجل ابن عباس وهو داخل من باب المسجد فلما نظر إليه راعه فقال من هذا قالوا ابن عباس ابن عم رسول الله ﷺ فقال ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) ، وقوله تعالى ( سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد ) الآية هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع رسله والالتقاد لهم فيما جاءوا به فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله صغار وهو الدالة الدائمة كما أنهم استكبروا فأعقبهم ذلك ذل يوم القيامة لما استكبروا في الدنيا كقوله تعالى ( إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ) أى صاغرين ذليلين حقيرين وقوله تعالى ( وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ) لما كان السكر غالباً إنما يكون خفياً وهو التلطف في التحيل والحديعة قوبلوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاء وفاقا ( ولا يظلم ربك أحداً ) كما قال تعالى ( يوم تبلى السرائر ) أى تظهر المستترات والسكنونات والضمائر وجاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة فيقال هذه غدره فلان بن فلان » والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفياً لا يطلع عليه الناس فيوم القيامة يصير علماً منشوراً على صاحبه بما فعل

﴿ فَمَنْ يردِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ) أى ييسره له وينشطه ويسهله لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى ( أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ) الآية وقال تعالى ( ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ) وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ) يقول تعالى يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به وكذا قال أبو مالك وغير واحد وهو ظاهر . وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل رسول الله ﷺ أى المؤمنين أكيس ؟ قال « أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم لما بعده استعداداً » قال وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ) قالوا كيف يشرح صدره يارسل الله ؟ قال « نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح » قالوا فهل لذلك من أمانة يعرف بها ؟ قال « الإجابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت » وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا قبيصة عن سفيان يعنى الثوري عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ) فذكر نحو ما تقدم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن إدريس عن الحسن بن الفرات القزاز عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ) قال رسول الله ﷺ « إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب وانشرح » قالوا يارسل الله هل لذلك من أمانة ؟ قال « نعم الإجابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت » وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العنبري حدثنا القعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبي جعفر فذكره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ) قالوا يارسل الله ما هذا الشرح ؟ قال « نور يقذف به في القلب » قالوا يارسل الله فهل لذلك من أمانة تعرف ؟ قال « نعم » قالوا وما هي قال « الإجابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت »

وقال ابن جرير أيضاً حدثني هلال بن البلاء حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد حدثنا محمد بن مسلم عن أبي عبد الرحمن

عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح » قالوا فهل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال « الانابة إلى دار الخلود والتحنى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت » وقد رواه من وجه آخر عن ابن مسعود متصلا مرفوعا فقال حدثني ابن سنان القزاز حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي عن يونس عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ) قالوا يا رسول الله وكيف يشرح صدره ؟ قال « يدخل فيه النور فينفسح » قالوا وهل لذلك علامة يارسول الله ؟ قال « التجاني عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت » فهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم

وقوله تعالى ( ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ) قرئ بفتح الضاد وتسكين الياء والاكثر ضيقا بتشديد الياء وكسرها وهما لغتان كهين وهين وقرأ بعضهم حرجا بفتح الحاء وكسر الراء قيل بمعنى آثم قاله السدي وقيل بمعنى القراءة الأخرى حرجا بفتح الحاء والراء وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى ولا يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه . وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا من الأعراب من أهل البادية من مدليج عن الحرجة فقال هي الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر رضى الله عنه كذلك قلب الناقلين لا يصل إليه شيء من الخير . وقال العوفي عن ابن عباس يجعل الله عليه الإسلام ضيقا والإسلام واسع وذلك حين يقول ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) يقول ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق وقال مجاهد والسدي ضيقا حرجا شاكا وقال عطاء الخراساني ضيقا حرجا أي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن المبارك عن ابن جريج ضيقا حرجا بلا إله إلا الله حتى لا يستطيع أن تدخل قلبه كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه . وقال سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال لا يجد فيه مسلكا إلا صعدا وقال السدي ( كأنما يصعد في السماء ) من ضيق صدره

وقال عطاء الخراساني ( كأنما يصعد في السماء ) يقول مثله كمثل الذي لا يستعجم أن يصعد إلى السماء وقال الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ( كأنما يصعد في السماء ) يقول فكأنه لا يستطيع أن يبلغ السماء فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه وقال الأوزاعي ( كأنما يصعد في السماء ) كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما . وقال الامام أبو جعفر بن جرير وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه يقول فمثله في امتناعه عن قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه لأنه ليس في وسعه وطاقته ، وقال في قوله ( كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ) يقول كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرجا كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله بمن أبي الإيمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الله وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : الرجس الشيطان وقال مجاهد : الرجس كل ما لا خيره فيه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرجس العذاب

﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَقِيلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

لما ذكر تعالى طريق الضالين عن سبيله الصادين عنها نبه على شرف ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال تعالى ( وهذا صراط ربك مستقيما ) منصوب على الحال أي هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن هو صراط الله المستقيم كما تقدم في حديث الحارث عن علي في نعت القرآن : هو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين وهو الذي ذكره الحكيم رواد أحمد والترمذي بطوله ( قد فضلنا الآيات ) أي وضحناها وبينناها وفسرناها ( لقوم يذكرون ) أي لمن له فهم ووعى يعقل عن الله ورسوله ( لهم دار السلام ) وهي الجنة ( عند ربهم ) أي يوم القيامة وإنما وصف الله الجنة ههنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم المقتضى أثر الأنبياء وطرائقهم فكما

سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلى دار السلام ( وهو وليهم ) أى (١) حافظهم وناصرهم ومؤيدهم ( بما كانوا يعملون )  
أى جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهم وأتابهم الجنة بمنه وكرمه

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ أَلْجَنُّ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ  
بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى (و) اذكر يا محمد فياتقصه عليهم وتذريهم به ( يوم يحشرهم جميعا ) يعنى الجن وأولياءهم من الانس الذين  
كانوا يعبدونهم فى الدنيا ويعوذون بهم ويطيعونهم ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ( يا معشر الجن  
قد استكثرت من الانس ) أى يقول يا معشر الجن وسياق الكلام يدل على المحذوف ومعنى قوله ( قد استكثرت  
من الانس ) أى من إغوائهم وإضلالهم كقوله تعالى ( ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبد الشيطان إنه لكم عدو مبين \*  
وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم \* ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون ) وقال على بن أبى طلحة عن  
ابن عباس ( يا معشر الجن قد استكثرت من الانس ) يعنى أضلتم منهم كثيرا وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة ( وقال  
أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض ) يعنى أن أولياء الجن من الانس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا . قال  
ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الأشهب هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن الحسن فى هذه الآية قال استكثرت من أهل  
النار يوم القيامة فقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض ، قال الحسن وما كان استمتاع بعضهم ببعض  
إلا أن الجن أمرت وعملت الانس . وقال محمد بن كعب فى قوله ( ربنا استمتع بعضنا ببعض ) قال الصحابة فى الدنيا .  
وقال ابن جريج كان الرجل فى الجاهلية ينزل الأرض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادى . فذلك استمتاعهم فاعتذروا به يوم  
القيامة وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الانس من تعظيمهم إياهم فى استعانتهم بهم فيقولون  
قد سدنا الانس والجن ( وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ) قال السدى يعنى الموت ( قال النار مثواكم ) أى ما وأكم ومنزلكم  
أتم وإياهم وأولياؤكم ( خالدين فيها ) أى ما كثر فيها مكثا مخلدا إلا ما شاء الله قال بعضهم يرجع معنى الاستثناء إلى البرزخ  
وقال بعضهم هذا رد إلى مدة الدنيا وقيل غير ذلك من الأقوال التى سيأتى تقريرها عند قوله تعالى فى سورة هود  
( خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ) وقد روى ابن جرير وابن أبى حاتم  
فى تفسيره هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى حاتم بن أبى طلحة  
عن ابن عباس قال ( النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ) قال إن هذه الآية آية لا ينبغى لأحد أن  
يحكم على الله فى خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً

﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

قال سعيد عن قتادة فى تفسيرها إنما يؤلى الله الناس بأعمالهم فال مؤمن ولى المؤمن أين كان وحيث كان والكافر  
ولى الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى واختاره ابن جرير ، وقال معمر عن قتادة فى تفسير  
الآية نولى الله بعض الظالمين بعضا فى النار يتبع بعضهم بعضا . وقال مالك بن دينار قرأت فى الزبور انى أنتقم من  
المنافقين بالمنافقين ثم انتقم من المنافقين جميعا وذلك فى كتاب الله قوله الله تعالى ( وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا )  
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله ( وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا ) قال ظالمى الجن وظالمى الانس وقرأ  
( ومن بعض عن ذكر الرحمن تقيض له شيطانا فهو له قرين ) قال ونساط ظلمة الجن على ظامة الانس وقد روى الحافظ ابن  
عساكر فى ترجمة عبد الباقي بن أحمد من طريق سعيد بن عبد الجبار الكرايسى عن حماد بن سلمة عن عاصم عن ذر  
عن ابن مسعود مرفوعا « من أعان ظلما سلطه الله عليه » وهذا حديث غريب وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا يد الله فوقها \* ولا ظالم إلا سيلى بظالم

(١) فى النسختين الأميرية والأزهرية أى والسلام وهو الله وليهم أى حافظهم الخ .

ومعنى الآية الكريمة كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن كذلك تفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض ونتقم من بعضهم بعض جزاء على ظلمهم وبغيتهم

﴿ يَمْعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

وهذا أيضا مما يقرع الله به كافر الجن والإنس يوم القيامة حيث يسألهم وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالاته وهذا استفهام تقرير ( يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ) أي من جملتكم والرسل من الإنس فقط وليس من الجن رسل كإقنص على ذلك مجاهد وابن جرير وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف ، وقال ابن عباس الرسل من بني آدم ومن الجن نزر . وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أن في الجن رسلا واحتج بهذه الآية الكريمة وفيه نظر لأنها محتملة وليست بصريحة وهي والله أعلم كقوله ( مرج البحرين يلتقيان \* بينهما برزخ لا يبغيان \* فبأى آلاء ربكما تكذبان ) إلى أن قال ( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرجان من الملح لا من الحلو (١) وهذا واضح والله الحمد وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير ، والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى ( إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده - إلى قوله - رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) وقوله تعالى عن إبراهيم ( وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ) فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ولم يقل أحد من الناس إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم بعثته وقال تعالى ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ) وقال ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ) ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب ولهذا قال تعالى إخباراً عنهم ( وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين \* قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم \* يا قومنا أجيبيوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرم من عذاب أليم \* ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين ) وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى ( سنفرغ لكم أيها الثقلان \* فبأى آلاء ربكما تكذبان ) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة ( يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ) أي أقرنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن لا محالة وقال تعالى ( وغربتهم الحياة الدنيا ) أي وقد فرطوا في حياتهم الدنيا وهلكوا بتكذيبهم الرسل ومحالفتهم للمعجزات لما اغتروا به من زحرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها ( وشهدوا على أنفسهم ) أي يوم القيامة ( أنهم كانوا كافرين ) أي في الدنيا بما جاءتهم به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم

﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفُلُونَ ﴾ \* وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ مِّمَّا يَعْمَلُونَ ﴿

يقول تعالى ( ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ) أي إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب لئلا يؤاخذ أحد بظلمه وهو لم تبلغه دعوة ولكن أعذرنا إلى الأمم وما عذبنا أحدا إلا بعد إرسال الرسل إليهم كما قال تعالى ( وإن من قرية إلا خلا فيها نذير ) وقال تعالى ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) كقوله ( وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا ) وقال تعالى ( كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم مكننا أن تقدمون يقولون ، ثم ثبت أن بعض الأنهار الحلو الماء قد استخرج منها اللؤلؤ .

يأتكم نذير؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا ( والآيات في هذا كثيرة قال الإمام أبو جعفر بن جرير ويحتمل قوله تعالى ( بظلم ) وحين ( أحدها ) ذلك من أجل أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها بالشرك ونحوه وهم غافلون يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسولا ينبههم على حجج الله عليهم وينذرهم عذاب الله يوم معادهم ولم يكن بالندى يؤاخذهم غفلة فيقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير ( والوجه الثاني ) ( ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ) يقول لم يكن ربك ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام لعبيده ثم شرع رجع الوجه الأول ولأشك أنه أقوى والله أعلم .

قال وقوله تعالى ( ولكل درجات مما عملوا ) أى ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته مراتب ومنازل من عمله يبلغه الله إياها ويثيبه بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر ( قلت ) ويحتمل أن يعود قوله ( ولكل درجات مما عملوا ) أى من كافر الجن والانس أى ولكل درجة في النار بحسبه كقوله ( قال لكل ضعف ) وقوله ( الذين كفروا ) وصدا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ) ( وماربك بغافل عما يعملون ) قال ابن جرير أى وكل ذلك من عملهم يا محمد يعلم من ربك يحصيا ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه

﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ \* إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ \* قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

يقول تعالى ( وربك ) يا محمد ( الغني ) أى عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء اليه في جميع أحوالهم ( ذوالرحمة ) أى وهو مع ذلك رحيم بهم كما قال تعالى ( إن الله بالناس لرؤوف رحيم ) ( إن يشأ يذهبكم ) أى إذا خالفتهم أمره ( ويستخلف من بعدكم ما يشاء ) أى قوما آخرين أى يعملون بطاعته ( كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ) أى هو قادر على ذلك سهل عليه يسير لديه كما أذهب القرون الأولى وأتى بالندى بعدها كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والأتيان بآخرين كما قال تعالى ( إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا ) وقال تعالى ( يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى الله والله الغني الحميد \* إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز )

وقال تعالى ( والله الغني وأتمم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ) وقال محمد بن إسحق عن يعقوب بن عتبة قال سمعت أبا بن عثمان يقول في هذه الآية ( كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ) ( الذرية الأصل والذرية النسل وقوله تعالى ( إنما توعدون لآتٍ وما أتمم بمعجزين ) أى أخبرهم يا محمد أن الذى يوعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة ( وما أتمم بمعجزين ) أى ولا تعجزون الله بل هو قادر على إعادتكم وإن صرتم ترابا رفاتا وعظاما هو قادر لا يعجزه شيء ، وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها حدثنا أبو حدثنا محمد بن المصعب حدثنا محمد بن حمير عن أبي بكر ابن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يا بني آدم إن كنتم تعاقبون فعدوا أنفسكم من المولى والذى نفسى بيده إنما توعدون لآتٍ وما أتمم بمعجزين »

وقوله تعالى ( قل يا قوم اعملوا على مكاتبتكم إنى عامل فسوف تعلمون ) هذا تهديد شديد ووعد أ كيد أى استمروا على طريقتكم وناحياتكم إن كنتم تظنون انكم على هدى فأنا مستمر على طريقي ومنهجي كقوله ( وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتبتكم إناعملون وانتظروا إنانتظرون ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ( على مكاتبتكم ) ناحياتكم ( فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون ) أى أتكون لى أولكم وقد أنجز الله مواعده لرسوله صلوات الله عليه أى فانه تعالى مكنه فى البلاد وحكمه فى نواصي مخالفه من العباد وفتح له مكة وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوأه واستقر أمره على سائر جزيرة العرب وكذلك الجن والبحرين وكل ذلك فى حياته ثم

فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق بعد وفاته في أيام خلفائه رضى الله عنهم أجمعين كما قال الله تعالى ( كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ) وقال ( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ) وقال تعالى ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) وقال تعالى إخبارا عن رسله ( فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ) وقال تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الدين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ) الآية وقد فعل الله ذلك بهذه الأمة الحمديّة وله الحمد والمنة أولا وآخرآ وظاهرا وباطنا

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

هذا ذم وتوبيخ من الله للشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفروا وشركا وجعلوا لله شركا وجزءا من خلقه وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى ولهذا قال تعالى ( وجعلوا لله مما ذرأ) أى بما خلق وبرأ ( من الحرث ) أى من الزرع والثمار ( والأنعام نصيبا ) أى جزءا وقسما ( فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ) وقوله ( فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ) قال على بن أبى طلحة والعمري عن ابن عباس أنه قال فى تفسير هذه الآية إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءا وللوثن جزءا فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه وإن سقط منه شيء فى ما سقى للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن وإن سبقهم الماء الذى جعلوه للوثن فسقى شيئا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن وإن سقط شيء من الحرث والثمرة الذى جعلوه لله فاختلط بالذى جعلوه للوثن قالوا هذا فقير ولم يردوه إلى ما جعلوه لله وإن سبقهم الماء الذى جعلوه لله فسقى ما سقى للوثن تركوه للوثن وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للأوثان ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله فقال الله تعالى ( وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ) الآية وهكذا قال مجاهد وقتادة والسدى وغير واحد ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى الآية كل شيء يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية حتى بلغ ( ساء ما يحكمون ) أى ساء ما يقسمون فانهم أخطأوا أولا فى القسم لأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه وله الملك وكل شيء له وفى تصرفه وتحت قدرته ومشيئته لا إله غيره ولا رب سواه ثم لما قسموا فما زعموا القسمة الفاسدة لم يحفظوها بل جاروا فيها كقوله جل وعلا ( ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ) وقال تعالى ( وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين ) وقال تعالى ( ألكم الذكر وله الأنثى ) وقوله ( تلك إذا قسمة ضيزى )

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمُ شُرَكَائِهِمْ لِيُرَدُّوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمُ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى وكما زينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الاملاق وواد البنات خشية العار ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم زينوا لهم قتل أولادهم وقال مجاهد شركائهم شياطينهم يأمرونهم أن يبدوا أولادهم خشية العيلة وقال السدى أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات إما ليردوهم فيهلكوهم ، وإما ليلبسوا عليهم دينهم أى فيخلطوا عليهم دينهم ونحو ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقتادة وهذا كقوله تعالى ( وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا

وهو كظم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ( الآية وكتوله ) وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ( وقد كانوا أيضا يقتلون الأولاد من الاملاق وهو الفقر أو خشية الاملاق أن يحصل لهم في تلف المال وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من تزيين الشياطين وشرعهم ذلك ، قوله تعالى ( ولو شاء الله فعلاوه ) أى كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كونا وله الحكمة التامة في ذلك فلا يستل عما يفعل وهم يستلون ( فذرهم وما يفترون ) أى فدعهم واجتنبهم وما هم فيه فسيحكم الله بينك وبينهم

﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرَهُ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزْعَمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الحجر الحرام مما حرّموا من الوصيلة وتحريم ما حرّموا وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرها وقال قتادة ( وقالوا هذا أنعام وحرث حجر ) تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتغليظ وتشديد ولم يكن من الله تعالى ، وقال ابن زيد بن أسلم ( حجر ) إنما احتجروها لأنفسهم ، وقال السدي ( لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ) يقولون حرام أن يطعم إلا من شئنا وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى ( قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون ) وكتوله تعالى ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثروا لا يعقلون ) وقال السدي أما الأنعام التي حرمت ظهورها فهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها لا إذا ولدوها ولا إن نحروها . وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال لي أبو وائل أتدري مافي قوله ( وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ؟ ) قلت لا قال هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها ، وقال مجاهد كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لأن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن حملوا ولا إن تنجوا ولا إن عملت شيئا ( افتراء عليه ) أى على الله وكذبنا منهم في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه فانه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضيه منهم ( سيجزيهم بما كانوا يفترون ) أى عليه ويسندون إليه

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كُفَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

قال أبو إسحق السبيعي عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس ( وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لكورونا ) الآية قال اللبن وقال العوفي عن ابن عباس ( وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لكورونا ) فهو اللبن كانوا يحرمونه على إناهم ويشربه ذكراهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكرا ذبحوه وكان للرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركت فلم تندج وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء فهي الله عن ذلك وكذا قال السدي وقال الشعبي البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال مجاهد في قوله ( وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لكورونا ومحرم على أزواجنا ) قال هي السائبة والبحيرة وقال أبو العالية ومجاهد وقتادة في قول الله ( سيجزيهم وصفهم ) أى قولهم الكذب في ذلك يعنى كقوله تعالى ( ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع ) الآية إنه ( حكيم ) أى في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ( عليم ) بأعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿

يقول تعالى قد خسر الدين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم وضيقتوا عليهم في أموالهم فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم وأما في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكدبهم على الله واقترائهم كقولهم تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون \* متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن أيوب حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام (قد خسر الدين قتلتوا أولادهم سفها بغير علم وحرمو ما رزقهم الله اقتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهكذا رواه البخاري منفرداً في كتاب مناقب قريش من صحيحه عن أبي النعمان محمد بن الفضل عارم عن أبي عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله اليشكري عن أبي بشر واسمه جعفر بن أبي وحشية عن إياس به

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالذَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمَلَةَ حَمُولَةً وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿

يقول تعالى مبينا أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها هؤلاء المشركون بأرائهم الفاسدة وقسموها وجزؤوها فجعلوا منها حراما وحلالا فقال (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس معروشات مسموكات وفي رواية فالمعروشات ما عرش الناس وغير معروشات ما خرج في البر والجبال من الثمرات ، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس معروشات ما عرش من الكرم وغير معروشات ما لم يعرش من الكرم وكذا قال السدي وقال ابن جريج متشابهها وغير متشابهها قال متشابهها في النظر وغير متشابهها في المطعم وقال محمد بن كعب (كلوا من ثمره إذا أثمر) قال من رطبه وعنبه ، وقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) قال ابن جرير قال بعضهم هي الزكاة المفروضة حدثنا عمرو حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول (وآتوا حقه يوم حصاده) قال الزكاة المفروضة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) يعني الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله وكذا قال سعيد بن المسيب ، وقال العوفي عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصد شيئا فقال الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن يعلم ما كيله وحقه من كل عشرة واحد وما يلقط الناس من سنبله ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقتل في المسجد للمساكين وهذا إسناد جيد قوي ، وقال طاوس وأبو الشعثاء وقتادة والحسن والضحاك وابن جريج هي الزكاة وقال الحسن البصري هي الصدقة من الحب والثمار وكذا قال زيد بن أسلم وقال آخرون وهو حق آخر سوى الزكاة وقال أشعث عن محمد بن سيرين ونافع عن ابن عمر في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة رواه ابن مردويه وروى عبد الله بن المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال يعطى من حضره يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة وقال مجاهد إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وآتوا حقه يوم حصاده) قال عند الزرع يعطى القبضة

وعند الصرام يعطى القبضه ويتركهم فيتبعون آثار الصرام ، وقال الثوري عن حماد عن إبراهيم النخعي قال يعطى مثل الضغث وقال ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير ( وآتوا حقه يوم حصاده ) قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضه والضغث لعلف دابته وفي حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن سعيد مرفوعا ( وآتوا حقه يوم حصاده ) قال ( ماسقط من السنبل ) رواه ابن مردويه وقال آخرون هذا شيء كان واجبا ثم نسخه الله بالعشر أو نصف العشر حكاه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وإبراهيم النخعي والحسن والسدي وعطية العوفي وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله ، قلت وفي تسمية هذا نسخا نظر لأنه قد كان شيئا واجبا في الأصل ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكيفية قالوا وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة فأنه أعلم ، وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة « ن » ( إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستنون \* فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون \* فأصبحت كالصريم ) أي كالليل المدطم سوداء محترقة ( فتنادوا مصبحين \* أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين \* فانطلقوا وهم يتخافتون \* أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين \* وغدوا على حرد ) أي قوة وجلد وهمة ( قادرين \* فمارأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون \* قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون \* قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين \* فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون \* قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين \* عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون \* كذلك العذاب وللعذاب الآخرة أ كبر لو كانوا يعلمون )

وقوله تعالى ( ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ) قيل معناه لا تسرفوا في الاعطاء فتعطوا فوق المعروف وقال أبو العالية كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ثم تباروا فيه وأسرفوا فأنزل الله ( ولا تسرفوا ) وقال ابن جرير نزلت في ثابت بن قيس ابن شماس جذنخلاله فقال لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فأنزل الله تعالى ( ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ) رواه ابن جرير عنه وقال ابن جرير عن عطاء بن نهب عن السرف في كل شيء ، وقال إياس بن معاوية ما جاوزت به أمر الله فهو سرف ، وقال السدي في قوله ( ولا تسرفوا ) قال لا تعطوا أموالكم فتعبدوا فقراء وقال سعيد ابن المسيب ومحمد بن كعب في قوله ( ولا تسرفوا ) قال لا تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم ، ثم اختار ابن جرير قول عطاء انه نهى عن الاسراف في كل شيء ولا شك أنه صحيح لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى ( كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا ) أن يكون عائدا على الأكل أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى ( كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا تخيلة » وهذا من هذا والله أعلم وقوله عز وجل ( ومن الأنعام حمولة وفرشا ) أي وأنشأ لكم من الأنعام ما هو حمولة وما هو فرش قيل المراد بالحمولة ما يحمل عليه من الإبل والفرش الصغار منها كما قال الثوري عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله في قوله حمولة ما حمل عليه من الإبل وفرشا الصغار من الإبل رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه : وقال ابن عباس الحمولة هي الكبار والفرش الصغار من الإبل وكذا قال مجاهد ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( ومن الأنعام حمولة وفرشا ) أما الحمولة فالإبل والحيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم واختاره ابن جرير قال وأحسبه إنما سمي فرشا لدنوه من الأرض ، وقال الربيع بن أنس والحسن والضحاك وقتادة وغيره الحمولة الإبل والبقر والفرش الغنم . وقال السدي أما الحمولة فالإبل وأما الفرش فالفصلان والعجاجيل والغنم وما حمل عليه فهو حمولة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الحمولة ما تركبون والفرش ما تأكلون وتحلبون : شاة لا تحمل تأكلون لحمها وتتخذون من صوفها لحافا وفرشا وهذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى ( أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون \* وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ) وقال تعالى ( وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ) إلى أن قال ( ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاننا ومتاعا إلى حين ) وقال تعالى ( الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون \* ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجا في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون \*

ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون ) وقوله تعالى (كلوا مما رزقكم الله) أى من الثمار والزروع والأنعام فكلها خلقها الله وجعلها رزقا لكم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى طريقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله أى من الثمار والزروع افتراء على الله (إنه لكم) أى إن الشيطان أيها الناس لكم (عدو مبين) أى بين ظاهر العداوة كما قال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءآتهما) الآية وقال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) والآيات فى هذا كثيرة فى القرآن

﴿ تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ أُنثَيْنِ وَمِنَ التَّمْرِ أُنثَيْنِ قُلْ ءَأَلَدُ كَرِينٍ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْأَأَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبْثُونِ يَعْلَمُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ أُنثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أُنثَيْنِ قُلْ ءَأَلَدُ كَرِينٍ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْأَأَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بغيرِ عِلْمٍ إِن اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

هذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما وغير ذلك من الأنواع التى ابتدعوها فى الأنعام والزروع والثمار فبين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا . ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو يياض وهو الضأن وسواد وهو المعز (١) ذكره وأنشأه إلى إبل ذكورها وإناثها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولادها بل كلها مخلوقة لبنى آدم أكلها وركوبها وحمولة وحلبها وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال ( وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ) الآية وقوله تعالى (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) رد عليهم فى قولهم (مافى بطون هذه الأنعام خالصة لكورونا ومحرم على أزواجنا الآية وقوله تعالى (نبثونى بعلم إن كنتم صادقين) أى أخبرونى عن يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، وقال العوفى عن ابن عباس قوله (ثمانية أزواج من الضأن اثنتين ومن المعز اثنتين) فهذه أربعة أزواج (قل آله كرين حرم أم الانثيين) يقول لم أحرم شيئا من ذلك (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) يعنى هل يشتمل الرحم الإعلى ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعضا وتحلون بعضا ؟ (نبثونى بعلم إن كنتم صادقين) يقول تعالى كله حلال وقوله تعالى (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله من تحريم ما حرموه من ذلك (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) أى لا أحد أظلم منه (إن الله لا يهدى القوم الظالمين) وأول من دخل فى هذه الآية عمرو بن لحي بن قعدة لأنه أول من عير دين الأنبياء وأول من سب السوابب ووصل الوصيلة وحسمى الحامى كما ثبت ذلك فى الصحيح

﴿ قُلْ لَا أُجِدُ مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى أمرا عبده ورسوله محمدا ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله (لا أجد فيها أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) أى أكل يأكله قيل معناه لا أجد شيئا مما حرمتم حراما سوى هذه وقيل معناه لا أجد من الحيوانات شيئا حراما سوى هذه فعلى هذا يكون ما ورد من التحريم بعد هذا فى سورة المائدة وفى الأحاديث الواردة أفعال المفهوم هذه الآية ومن الناس من يسمي هذا نسخا والأكثر من التأخرين لا يسمونه نسخا لأنه من باب رفع مباح الأصل والله أعلم ، وقال العوفى عن ابن عباس (أو دما مسفوحا) يعنى المهرق

(١) ليس كل الضأن أبيض ولا كل المعز أسود وليس فى الآية ذكر للبياس والسواد

وقال عكرمة في قوله (أو دما مسفوحا) لولا هذه الآية لاتبعت الناس ما في العروق كما تتبعه اليهود، وقال حماد عن عمران ابن جرير قال سألت أبا مجلز عن الدم، وما يتلطح من الذبيح من الرأس وعن القدريري فيها الحمرة فقال إنا نهي الله عن الدم المسفوح وقال قتادة حرم من الدماء ما كان مسفوحا فأما اللحم خالطه الدم فلا بأس به وقال ابن جرير حدثنا المثني حدثنا حجاج بن مناج حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأسا والحمرة والدم يكونان على القدر بأسا وقرأت هذه الآية صحيح غريب

وقال الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال قلت لجابر بن عبد الله إنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهي عن لحوم الجمر الأهلية زمن خير فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أبي ذلك البحر يعنى ابن عباس وقرأ (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) الآية وكذا رواه البخارى عن علي بن المديني عن سفيان به، وأخرجه أبو داود من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار ورواه الحاكم في مستدركه مع أنه في صحيح البخارى كما رأيت، وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقدر أبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فأحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكنت عنه فهو عفو وقرأ هذه الآية (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) الآية وهذا لفظ ابن مردويه ورواه أبو داود منفردا به عن محمد بن داود بن صبيح عن أبي نعيم به وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يا رسول الله ماتت فلانة تعنى الشاة قال «فلم لا أخذتم مسكها» قالت تأخذ مسك شاة قد ماتت؟ فقال لها رسول الله ﷺ «إنما قال الله (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير) وإنكم لا تطعمونه أن تدبغوه فتنتفخوا به» فأرسلت فساخت مسكها فدبغته فاتخذت منه قرية حتى تحرقت عندها» رواه أحمد ورواه البخارى والنسائي من حديث الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس عن سودة بنت زمعة بذلك أو نحوه وقال سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عيسى بن نميلة الفزاري عن أبيه قال كنت عند ابن عمر فسأله رجل عن أكل القنفذ فقرا عليه (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) الآية فقال شيخ عنده سمعت أبا هريرة يقول ذكر عند النبي ﷺ فقال «خبث من الخبائث» فقال ابن عمر: إن كان النبي ﷺ قاله فهو كما قال ورواه أبو داود عن أبي ثور عن سعيد بن منصور به

وقوله تعالى (فمن اضطر غير باع ولا عاد) أى فمن اضطر إلى أكل شيء محارم الله في هذه الآية الكريمة وهو غير متلبس بينى ولا عدوان (فإن ربك غفور رحيم) أى غفور له رحيم به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية والغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بأرائهم الفاسدة من البجيرة والسائبه والوصيلة والحام ونحو ذلك فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم وإنما حرم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما عدا ذلك فلم يحرم وإنما هو عفو مسكوت عنه فكيف تزعمون أنتم أنه حرام ومن أين حرمتموه ولم يحرمه الله؟ وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء آخر فيها بعد هذا كما جاء النهى عن لحوم الجمر الأهلية ولحوم السباع وكل ذى مخلب من الطير على المشهور من مذاهب العلماء

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ أُلْحُوا بِهَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

قال ابن جرير يقول تعالى وحرمنا على اليهود كل ذى ظفر وهو البهائم والطيور ما لم يكن مشقوق الأصابع كالابل

والنعام والإوز والبيط قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وطى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) وهو البعير والنعامة وكذا قال مجاهد والسدي في رواية وقال سعيد بن جبير هو الذي ليس منفرج الأصابع وفي رواية عنه كل متفرق الأصابع ومنه الديك وقال قتادة في قوله (وطى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) وكان يقال للبعير والنعامة وأشياء من الطير والحيتان وفي رواية البعير والنعامة وحرم عليهم من الطير البط وشبهه وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع ، وقال ابن جريج عن مجاهد كل ذى ظفر قاله النعامة والبعير شقاشقا قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثته ماشقاشقا قال كل مالا يفرج من قوائم البهائم قال وما انفرج أكلته قال انفرجت قوائم البهائم والمصاير قال فيهود تأكله قال ولم تنفرج قائمة البعير - خفه - ولا خف النعامة ولا قائمة الوز فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعامة ولا الوز ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ولا تأكل حمار الوحش ، وقوله تعالى (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) قال السدي يعني الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول إنه حرمه إسرائيل فنحن نحرمه وكذا قال ابن زيد ، وقال قتادة الثرب (١) وكل شحم كان كذلك ليس في عظم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إلا ما حملت ظهورها) يعني معلق بالظهر من الشحوم ، وقال السدي وأبو صالح الألية بما حملت ظهورها وقوله تعالى (أو الحوايا) قال الإمام أبو جعفر بن جرير الحوايا جمع واحدتها حواياة وحواوية وسحوية وهو ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المراض وفيها الأمعاء قال ومعنى الكلام : ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورها وما حملت الحوايا . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو الحوايا وهي المبرع وقال مجاهد الحوايا المبرع والمريض وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وقتادة وأبو مالك والسدي وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد الحوايا المراض التي تكون فيها الأمعاء تكون وسطحها وهي بنات اللبن وهي في كلام العرب تدعى المراض ، وقوله تعالى (أوما اختلط بعظم) يعني إلا ما اختلط من الشحوم بعظم فقد أحلناه لهم ، وقال ابن جريج شحم الألية ما اختلط بالعصعص فهو حلال وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين وما اختلط بعظم فهو حلال ونحوه قاله السدي وقوله تعالى (ذلك جزيناهم بغيرهم) أي هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازة على بغيرهم ومخالفتهم أو امرنا كما قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) وقوله (وإننا لصادقون) أي وإننا لعادلون فيما جازيناهم به وقال ابن جرير وإننا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه والله أعلم وقال عبد الله بن عباس بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن سمرة باع خمرا فقال قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجمعوها فباعوها» أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس عن عمر بن عبد الله بن عمر به وقال الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب قال : قال عطاء بن أبي رباح سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح «ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس فقال «لا هو حرام» ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك «قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملة ثم باعوه وأكلوا ثمنه» ورواه الجماعة من طرق عن يزيد بن أبي حميد به ، وقال الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها» ورواه البخاري ومسلم جميعا عن عبدان عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري به ، وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان قاعدا خلف القمام فرفع بصره إلى السماء فقال «لعن الله اليهود - ثلاثا - إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها وإن الله لم يحرم على قوم أكل شيء إلا حرم عليهم ثمنه» وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم أنبأنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد أنبأنا ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا في المسجد مستقبلا الحجر فنظر إلى السماء

(١) الثرب بالفتح : الشحم الذي على الكرش والأمعاء .

فضحك فقال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه » ورواه أبو داود من حديث خالد الحذاء ، وقال الأعمش عن جامع بن شداد عن كلثوم عن أسامة بن زيد قال دخلنا على رسول الله ﷺ وهو مريض فعده فوجدناه نائماً قد غطي وجهه يبرد عندي فكشفت عن وجهه وقال « لعن الله اليهود يحرمون شحوم الغنم ويأكلون أثمانها » وفي رواية « حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها » وفي لفظ لأبي داود عن ابن عباس مرفوعاً « إن الله إذا حرم أكل شيء حرم عليهم ثمنه »

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

يقول تعالى فإن كذبتك يا محمد مخالفوك من الشركين واليهود ومن شابههم قتل (ربكم ذورحمة واسعة) وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رسوله (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) ترهيب لهم من مخالفهم الرسول خاتم النبيين وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى في آخر هذه السورة (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) وقال (وإن ربك لودو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) وقال تعالى (نبي عبادي أتى أنا الغفور الرحيم \* وأن عذابي هو العذاب الأليم) وقال تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال (إن بطش ربك لشديد \* إنه هو يبدئ ويعيد \* وهو الغفور الودود) والآيات في هذا كثيرة جداً :

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ \* قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره قتل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك ولهذا قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) كما في قوله تعالى (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) الآية وكذلك الآية التي في النحل مثل هذه سواء قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهي حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاهم الله بأسه ودمر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق المشركين من ألم الاتقام (قل هل عندكم من علم) أي بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه (فتخرجوه لنا) أي فظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه (إن تتبعون إلا الظن) أي الوهم والحيال والمراد بالظن هاهنا الاعتقاد الفاسد (وإن أنتم إلا تخرصون) تكذبون على الله فيما ادعيتموه ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولو شاء الله ما أشركنا) وقال (كذلك كذب الذين من قبلهم) ثم قال (ولو شاء الله ما أشركوا) فإيهم قالوا عادتنا الآلهة تقربنا إلى الله زلفى فأخبرهم الله أنها لا تقربهم فقوله (ولو شاء الله ما أشركوا) يقول تعالى لو شئت لجمعهم على الهدى أجمعين ، وقوله تعالى (قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) يقول تعالى لبيد عليه السلام (قل) لهم يا محمد (قل لله الحجة البالغة) أي له الحكمة التامة والحجة البالغة في هداية من هدى وإضلال من ضل (فلو شاء لهداكم أجمعين) فكل ذلك تسدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويغض الكافرين كما قال تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وقال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من الأرض) وقوله (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم



القرآن قال الله تعالى ( إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء ) وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة » والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا ، وروى ابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء « لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أوصلبتم أو حرقتهم » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن زيد حدثني سيار بن عبد الرحمن عن يزيد بن قوذر عن سلمة بن شريح عن عبادة بن الصامت قال أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال « ألا تشركوا بالله شيئا وإن حرقتهم وقطعتم وصلبتم » رواه ابن أبي حاتم . وقوله تعالى ( وبالوالدين إحسانا ) أى وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانا أى أن تحسنوا إليهم كما قال تعالى ( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ) وقرأ بعضهم ، ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا « أى أحسنوا إليهم والله تعالى كثيرا ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين كما قال ( أن اشكر لى ولوالديك إلى المصبر وإن جاهداك على أن أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ) فأمر بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى ( وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا ) الآية والآيات فى هذا كثيرة وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل ؟ قال « الصلاة على وقتها » قلت ثم أى ؟ قال « بر الوالدين » قلت ثم أى ؟ قال « الجهاد فى سبيل الله » قال ابن مسعود حدثنى بهن رسول الله ﷺ ولو استزده لزدانى وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن ابن مسعود عن عبادة بن الصامت كل منهما يقول أوصانى خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل » ولكن فى إسنادهما ضعف والله أعلم . وقوله تعالى ( ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ) لما أوصى تعالى بالوالدين (١) والأجداد عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد فقال تعالى ( ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ) وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يثدون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار ولهذا ورد فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم ؟ قال « أن نلعن الله ندا وهو خلقك » قلت ثم أى قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت ثم أى قال « أن تزانى حليلة جارك » ثم تلا رسول الله ﷺ ( والذين لا يدعون مع الله آلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ) الآية وقوله تعالى ( من إملاق ) قال ابن عباس وقتادة والسدى وغيره هو الفقر أى ولا تقتلوا من فقركم الحاصل ، وقال فى سورة الاسراء ( ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ) أى لا تقتلوا خوفا من الفقر فى الآجل ولهذا قال هناك ( نحن نرزقهم وإياكم ) فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أى لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلًا قال ( نحن نرزقكم وإياهم ) لأنه الأهم ههنا والله أعلم ، وقوله تعالى ( ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ) كقوله تعالى ( قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحلق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ) وقد تقدم تفسيرها فى قوله تعالى ( وذروا ظاهر الأثم وباطنه ) وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا أحد أغبر من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال عبد الملك بن عمير عن وزاد عن مولاة المغيرة قال : قال سعد بن عبادة لو رأيت مع امرأتى رجلا لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « أتعجبون من غيرة سعد ؟ فوالله لأنا أغبر من سعد ، والله أغبر منى ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » أخرجاه وقال كامل أبو العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله إنا نغار قال « والله انى لأغار والله أغبر منى ومن غيرته نهى عن الفواحش » رواه ابن مردويه ولم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة وهو على شرط الترمذى فقد روى بهذا السند . أعمار أمق ما بين الستين إلى السبعين » وقوله تعالى ( ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ) وهذا مما نص تبارك وتعالى على النهى عنه تأكيدًا وإلا فهو

داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفي لفظ لمسلم « والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم وذكروه قال الأعمش فحدثت به إبراهيم فحدثني عن الأسود عن عائشة بنته وروى أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال زان محصن يرحم ، ورجل قتل متعمدا فيقتل ورجل يخرج من الإسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو يبنى من الأرض » وهذا لفظ النسائي وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو محصور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد احصانه ، أو قتل نفسا بغير نفس » فوالله ما زينت في جاهلية ولا إسلام . ولا تمنيت أن لي بدني بدلما بعد إذ هداني الله ، ولا قتلت نفسا ، فم تقاتلوني ؟ » رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب فروى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ مرفوعا « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح ، وقوله ( ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ) أي هذا مما وصاكم به لعلكم تعلمون عن الله أمره ونهيه

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبَعَثَ اللَّهُ أَزْوَاجًا بِذُنُوبِكُمْ وَلَا تَزِنُ أَعْيُنُكُمْ حَتَّىٰ تَأْكُلُوا مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَلَا تُخْفُوا بِهِ لِقَاءَ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تُكْفَرُونَ ﴾

قال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أنزل الله ( ولا تقربوا مالا اليتيم إلا بالتي هي أحسن ) و ( إن الدين يأكلون أموال اليتامى ظلما ) الآية فانطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله ويفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ( ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن مخالطوهم فأخوانكم ) قال فخلطوا طعامهم بطعامهم وشراهم بشراهم رواه أبو داود ، وقوله تعالى ( حتى يبلغ أشده ) قال الشعبي ومالك وغير واحد من السلف يعني حتى يحتمل وقال السدي حتى يبلغ ثلاثين سنة ، وقيل أربعون سنة وقيل ستون سنة قال وهذا كله بعيد ها هنا والله أعلم ، وقوله تعالى ( وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ) يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء كما توعد على تركه في قوله تعالى ( ويل للمظفين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ) وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخون المكيل والميزان وفي كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي من حديث الحسين بن قيس أبي طي الرحبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان « إنكم ولتيم أمرا هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم » ثم قال لانعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسين وهو ضعيف في الحديث وقد روى بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفا ، قلت وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم معشر الموالي قد بشركم الله بمخلصتين بها هلكت القرون المتقدمة الكيل والميزان » وقوله تبارك وتعالى ( لا نكلف نفسا إلا وسعها ) أي من اجتهد في أداء الحق وأخذها فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه وقد روى ابن مردويه من حديث بقية عن ميسرة بن عبيد عن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه عن

سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله ﷺ في الآية ( وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا وسعها ) فقال «من أوفى على يده في الكيل والميزان والله يعلم صحته نيته بالوفاء فيهما لم يؤخذ وذلك تأويل وسعها» هذا مرسل غريب وقوله ( وإذا قلم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ) كقولهم ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ) الآية وكذا التي تشبهها في سورة النساء يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال ، وقوله ( وبعهد الله أوفوا ) قال ابن جرير يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا وإيفاء ذلك أن تطيعوه فيها أمركم ونهاكم وتعملوا بكتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهده الله ( ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ) يقول تعالى هذا أوصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه ( لعلكم تذكرون ) أي تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه قبل هذا وقرأ بعضهم بتشديد الدال وآخرين بتخفيفها

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ( ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) وفي قوله ( أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والمخصومات في دين الله ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا الأسود بن عامر شاذان حدثنا أبو بكر هو ابن عياش عن عاصم هو ابن أبي النجود عن أبي وائل عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال « هذا سبيل الله مستقيماً » وخط عن يمينه وشماله ثم قال « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ ( وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) وكذا رواه الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي بكر بن عياش به وقال صحيح ولم يخرجاه ، وهكذا رواه أبو جعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قيس عن عاصم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود مرفوعاً به نحوه وكذا رواه يزيد بن هرون ومسدد والنسائي عن يحيى بن حبيب بن عربي وابن حبان من حديث ابن وهب أربعتهم عن حماد بن زيد عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود به ، وكذا رواه ابن جرير عن المثني عن الحمانى عن حماد بن زيد به ورواه الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق عن إسحاق القاضي عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد به كذلك وقال صحيح ولم يخرجاه . وقد روى هذا الحديث والنسائي والحاكم من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زرع عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحمانى عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زريه فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقتين ولعل هذا الحديث عن عاصم بن أبي النجود عن زر وعن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود به والله أعلم . وقال الحاكم وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر من وجه غير معتمد . يشير إلى الحديث الذي قال الإمام أحمد وعبد بن حميد جميعاً واللفظ لأحمد حدثنا عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبة أنبأنا أبو خالد الأحمر عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط خطاً هكذا أمامه فقال « هذا سبيل الله » وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقيل « هذه سبيل الشيطان » ثم وضع يده في الحط الأوسط ثم تلا هذه الآية ( وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ) ورواه أحمد وابن ماجه في كتاب السنة من سننه والبخاري عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد عن أبي خالد الأحمر به قلت ورواه الحافظ بن مردويه من طريقين عن أبي سعيد الكندي حدثنا أبو خالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال خط رسول الله ﷺ خطاً وخط عن يمينه خطاً وخط عن يساره خطاً ووضع يده على الحط الأوسط وتلاه هذه الآية ( وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ) ولكن العمدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف ان كان مؤثراً ، وقد روى موقوفاً عليه قال ابن جرير حدثنا محمد بن

عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان بن عثمان أن رجلا قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم؟ قال تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطره في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من مريم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود ( وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق سبيله ) الآية وقال ابن مردويه حدثنا أبو عمرو حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا أبان بن عياش عن مسلم بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر سأل عبد الله عن الصراط المستقيم فقال ابن مسعود تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطره في الجنة وذكر تمام الحديث كما تقدم والله أعلم

وقد روى من حديث النواس بن سيمان نحوه قال الإمام أحمد حدثني الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نغير حدثه عن أبيه عن النواس بن سيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحها فانك إن فتحتها تلججه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » ورواه الترمذي والنسائي عن علي بن حجر زاد النسائي وعمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نغير عن النواس بن سيمان به ، وقال الترمذي حسن غريب وقوله تعالى ( فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ) إنما وحد سبيله لأن الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى ( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن عباد بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيكم يباعدني عن الله ومن وفى بهن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه »

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

قال ابن جرير ( ثم آتينا موسى الكتاب ) تقديره ثم قل يا محمد أخبرنا أنا آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله ( قل ) تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ) قلت وفي هذا نظر وشم ههنا إمامي لعطف الخبر سد الخبر لالتريب ههنا كما قال الشاعر  
قل لمن ساد ثم ساد أبوه \* ثم قد ساد قبل ذلك جده

وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله ( وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ) عطف بمدح التوراة ورسولها فقال ثم آتينا موسى الكتاب وكثيرا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى ( ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا ) وقوله أول هذه السورة ( قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ) الآية وبعدها ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك ) الآية وقال تعالى ( فخبرنا عن الشركين ) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى ) قال تعالى ( أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون ) وقال تعالى مخبرا عن الجن أنهم قالوا ( يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه هدى إلى الحق ) الآية وقوله تعالى ( تماما على الذي أحسن وتفصيلا ) أي آتينا الكتاب الذي أنزلناه إليه تماما كاملا حامعا لما يحتاج إليه في شريعته كقوله ( وكتبنا

له في الألواح من كل شيء (الآية وقوله تعالى (على الذي أحسن) أي جزاء على إحسانه في العمل وقيامه بأوامرنا وطاعتنا كقوله (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وكقوله (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً) وكقوله (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن) يقول أحسن فيما أعطاه الله وقال قتادة من أحسن في الدنيا تم له ذلك في الآخرة واختار ابن جرير أن تقديره (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً) على إحسانه فكانه جعل الذي مصدرية كما قيل في قوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) أي كخوضهم وقال ابن رواحة وثبت الله ما آتاك من حسن \* في المرسلين ونصراً كالذي نصرنا

وقال آخرون الذي ههنا بمعنى الذين قال ابن جرير وذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأها تماماً على الذين أحسنوا وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد تماماً على الذي أحسن قال على المؤمنين والمؤمنين وكذا قال أبو عبيدة وقال البغوي المحسنون الأنبياء والمؤمنون . يعني أظهرنا فضلهم قلت كقوله تعالى (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) ولا يلزم اصطفاؤه على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والخليل عليهما السلام لأدلة أخرى قال ابن جرير وروى أبو عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأها تماماً على الذي أحسن رفعاً وتأويل على الذي هو أحسن ثم قال وهذه قراءة لا تستجيز القراءة بها وإن كان لها في العربية وجه صحيح ، وقيل معناه تماماً على إحسان الله إليه زيادة على ما أحسن إليه حكاه ابن جرير والبغوي ولا منافاة بينه وبين القول الأول وبه جمع ابن جرير كما بيناه والله الحمد وقوله تعالى (وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة) فيه مدح لكتابه الذي أنزله الله عليه (لعلهم بقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) فيه الدعوة إلى اتباع القرآن يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين

﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ \* أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِبَيِّنَاتٍ اللَّهُ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾

قال ابن جرير معناه وهذا كتاب أنزلناه لثلاثين من قبلكم (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلكم) يعني ليقطع عنكم كقوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلنا إليك رسولا فتبج آياتك) الآية وقوله تعالى (على طائفتين من قبلكم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم اليهود والنصارى وكذا قال مجاهد والسدي وقاتادة وغير واحد وقوله (وإن كنا عن دراستهم لغافلين) أي وما كنا نفهم ما يقولون لأنهم ليسوا بلساننا ونحن في غفلة وشغل مع ذلك عما هم فيه وقوله (أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكاننا أهدى منهم) أي وقطعنا تعلقكم أن تقولوا لو أننا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكاننا أهدى منهم فيما أتوه كقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) الآية وهكذا قال ههنا (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) يقول فقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان للحلال والحرام وهدى لما في القلوب ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويتقنون ما فيه . وقوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي لم ينتفع بما جاء به الرسول ولا اتبع ما أرسل به ولا ترك غيره بل صدف عن اتباع آيات الله أي صرف الناس وصدفهم عن ذلك قاله السدي ، وعن ابن عباس ومجاهد وقاتادة وصدف عنها أعرض عنها وقول السدي ههنا فيه قوة لأنه قال (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) كما تقدم في أول السورة (وهم يهون عنه وينأون عنه وإن يهلكوا إلا أنفسهم) وقال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب) وقال في هذه الآية الكريمة (سنجزى الذين

يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) وقد يكون المراد فيما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي لا آمن بها ولا عمل بها كقوله تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) وغير ذلك من الآيات الدالة على اشتغال الكافر على التكذيب بقلبه وترك العمل بجوارحه ولكن كلام السدى أقوى وأظهر والله أعلم لأن الله قال (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) كقوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾

يقول تعالى متوعدا للكافرين به والمخالفين لرسله والمكذبين بآياته والصادقين عن سبيله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك) وذلك كائن يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها) وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها حين يرون شيئاً من أشراط الساعة كما قال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها » فذلك حين (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) حدثنا إسحق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها » وفي لفظ « فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » ثم قرأ هذه الآية . هكذا رى هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي من طرق عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة به .

وأما الطريق الثاني فرواه عن إسحق غير منسوب وقيل هو ابن منصور الكوسج وقيل إسحق بن نصر والله أعلم وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع الجندي سا بوري كلاهما عن عبد الرزاق به وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أبي هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة به ، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض » ورواه أحمد عن وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم سلمان عن أبي هريرة به وعنده والدخان ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب عن وكيع ورواه هو أيضاً والترمذي من غير وجه عن فضيل بن غزوان به ورواه إسحق بن عبد الله القروي عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ولكن لم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه لضعف القروي والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا شعيب بن الليث عن أبيه عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت آمن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » الآية ورواه ابن لميعة عن الأعرج عن أبي هريرة به ورواه وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة به أخرجه هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه » لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة (حديث آخر) عن أبي ذر الغفاري في الصحيحين وغيرهما من طرق عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبيه

عن أبي ذر جندب بن جنادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أتدرى أين تذهب الشمس إذا غربت ؟ » قلت لأدرى : قال « إنها تنتهى دون العرش فتجر ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها ارجعى فيوشك يا بأذران يقال لها ارجعى من حيث جئت وذلك حين ( لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ) »

( حديث آخر ) عن حذيفة بن أسيد بن أبي شريحة الغفارى رضى الله عنه ، قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطويل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن ننذاكر الساعة فقال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والذباب ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، وخروج الدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث فرات القزاز عن أبي الطويل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد به وقال الترمذى حسن صحيح . ( حديث آخر ) عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، قال الثورى عن منصور عن ربيع عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال النبي ﷺ « تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فينتبه الذين كانوا يصلون فيها فيعملون كما كانوا يعملون قبلها والنجوم لا ترى قد غابت مكانها ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون ثم يرقدون ثم يقومون تبطل عليهم جنوبهم حتى يتناول عليهم الليل فيفزع الناس ولا يصحون فينبههم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا فلم ينفهم إيمانهم » رواه ابن مردويه وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم

( حديث آخر ) عن أبي سعيد الخدرى واسمه سعد بن مالك بن سنان رضى الله عنه وأرضاه قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ابن أبي ليلى عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ « ( يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ) - قال - طلوع الشمس من مغربها » ورواه الترمذى عن سفيان بن وكيع عن أبيه به وقال غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه وفى حديث طلوت بن عباد عن فضال بن جبير عن أبي أمامة صدى بن عجلان قال : قال رسول الله ﷺ « إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها » وفى حديث عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله فتح بابا قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة لا يعلق حتى تطلع الشمس منه » رواه الترمذى وصححه النسائى وابن ماجه فى حديث طويل

( حديث آخر ) عن عبد الله بن أوفى قال ابن مردويه حدثنا محمد بن على بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا ضرار بن صرد حدثنا ابن فضيل عن سليمان بن زيد عن عبد الله بن أوفى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليالى من ليالىكم هذه فإذا كان ذلك يعرفها للتفلون يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام فيبيناهم كذلك إذ صاح الناس بعضهم فى بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى الساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت حتى إذا صارت فى وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها - قال حينئذ - لا ينفع نفساً إيمانها » هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو فى شيء من الكتب الستة

( حديث آخر ) عن عبد الله بن عمرو قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة فسمعه وهو يحدث عن الآيات يقول إن أولها خروج الدجال قال فانصرفوا إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بالذى سمعوه من مروان فى الآيات فقال لم يقل مروان شيئاً حفظت من رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروج الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أمرها » ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولها خروج الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش وسجدت واستأذنت فى الرجوع فأذن لها فى الرجوع حتى إذا بدا الله

أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل، أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فلم يرد عليها شيء ثم استأذنت في الرجوع فلا يرد عليها شيء حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق قالت رب ما أبعد المشرق من لي بالناس حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فيقال لها من مكانك فاطلعي فطلعت على الناس من مغربها ثم تلا عبد الله هذه الآية ( لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ) الآية وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في سننهما من حديث أبي حيان التيمي واسمه يحيى بن سعيد بن حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير به ( حديث آخر عنه ) قال الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي حدثنا إسحاق بن إبراهيم ابن زريق الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ابن لميعة عن حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال النبي ﷺ « إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدا ينادي ويجهر الهى مرني أن أسجد لمن شئت - قال - فيجتمع إليه زبائنه فيقولون كلهم ما هذا التضرع فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم - قال - ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا - قال - فأول خطوة تضعها بانطاكيا فتأني إبليس فتلطمه » هذا حديث غريب جدا وسنده ضعيف ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك فأما رفعه فمكرر والله أعلم ( حديث آخر ) عن عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبي سفيان رضى الله عنهم أجمعين قال الإمام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد يرد إلى مالك بن يخامر عن ابن السعدى أن رسول الله ﷺ قال « لا تنقطع الهجرة مادام العدو يقاتل » فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص إن رسول الله ﷺ قال « إن الهجرة خصلتان إحداها تهجر السيئات والأخرى تهجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل » هذا الحديث حسن الإسناد ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم ( حديث آخر ) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال عوف الأعرابي عن محمد بن سيرين حدثني أبو عبيدة عن ابن مسعود أنه كان يقول ما ذكر من الآيات فقدمضى غير أربع طلوع الشمس من مغربها ، والدجال . ودابة الأرض وخروج يأجوج ومأجوج . قال وكان يقول الآية التي تختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله يقول ( يوم يأتي بعض آيات ربك ) الآية كلها يعنى طلوع الشمس من مغربها. حديث ابن عباس رضى الله عنهما رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس مرفوعا فذكر حديثا طويلا غريبا منكرًا رفعه ، وفيه أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ من المغرب مقرونين وإذا انتصفا السماء رجعا ثم عادا إلى ما كانا عليه . وهو حديث غريب جدا بل منكر بل موضوع إن ادعى أنه مرفوع فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الأشبه بغير مدفوع والله أعلم ، وقال سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة رضى الله عنها قالت إذا خرج أول الآيات طرحت وحبست الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال رواه ابن جرير رحمه الله تعالى ، فقوله تعالى ( لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ) أى إذا أنشأ الكافر إيمانا يومئذ لا يقبل منه فأما من كان مؤمنا قبل ذلك فإن كان مصلحا في عمله فهو بخير عظيم وإن لم يكن مصلحا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة وعليه يحمل قوله تعالى ( أو كسبت في إيمانها خيرا ) أى ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك وقوله تعالى ( قل انتظروا إنا منتظرون ) تهديد شديد للكافرين ووعد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك وإنما كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها لا قرب الساعة وظهور أشراتها كما قال ( فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ) وقوله تعالى ( فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ) الآية

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْيًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

قال مجاهد وقتادة والضحاك والسدى نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ( إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ) وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل مبعث محمد ﷺ ففرقوا فلما بعث محمد ﷺ أنزل الله عليه ( إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ) الآية ، وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمر السكوني حدثنا بقية بن الوليد كتب إلى عباد بن كثير حدثني ليث عن طاوس عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في هذه الآية « ( إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ) وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة » لكن هذا إسناد لا يصح فان عباد ابن كثير متروك الحديث ولم يخلق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فانه رواه سفيان الثوري عن ليث وهو ابن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة في الآية أنه قال نزلت في هذه الأمة ، وقال أبو غالب عن أبي أمامة في قوله ( وكانوا شيعاً ) قال هم الخوارج وروى عنه مرفوعاً ولا يصح وقال شعبة عن مجاهد عن الشعبي عن شريح عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها « ( إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ) قال- هم أصحاب البدع » وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضاً ولا يصح رفعه والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له فان الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحداً لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه ( وكانوا شيعاً ) أى فرقاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فان الله تعالى قد برأ رسول الله ﷺ مما هم فيه وهذه الآية كقوله تعالى ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ) الآية وفي الحديث « نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » فهذا هو الصراط المستقيم وهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له والتمسك بشريعة الرسول المناخر وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسل برآء منها كما قال الله تعالى ( لست منهم في شيء ) وقوله تعالى ( إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ) كقوله تعالى ( إن الدين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ) الآية ثم بين لطفه سبحانه في حكمه وعدله يوم القيامة فقال تعالى

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

وهذه الآية الكريمة مفصلة لما أجمل في الآية الأخرى وهى قوله ( من جاء بالحسنة فله خير منها ) وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الجعد أبو عثمان عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى « إن ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرةا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة . ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له واحدة أو يحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك » ورواه البخارى ومسلم والنسائي من حديث الجعد أبي عثمان به وقال أحمد أيضاً حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثاله وأزيد ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة ومن اقترب إلى ذراعا ومن اقترب إلى ذراعا اقتربت إليه باعاً ومن أتاني يمشى أتيته هرولة » ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية به وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن الأعمش به ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسى عن وكيع به ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا شيبان حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرةا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة » واعلم أن تارك السيئة الذى لا يعملها على ثلاثة أقسام تارة يتركها لله فهذا تكنت له حسنة على كفه عنها لله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة

كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح فأما تركها من جرائي أي من أجلي ، وتارة يتركها نسيانا وذهولا عنها فهذا لا له ولا عليه لأنه لم ينو خيرا ولا فعل شرا ، وتارة يتركها عجزا وكسلا عنها بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها فهذا بمنزلة فاعلها كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالتقاتل والمقتول في النار » قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « إنه كان حريصا على قتل صاحبه » وقال الإمام أبو يعلى الموصلي حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا علي وحدثنا الحسن بن الصباح وأبو خيثمة فإلا حدثنا إسحاق بن سليمان كلاهما عن موسى بن عبيدة عن أبي بكر بن عبيد الله بن أنس عن جده أنس قال: قال رسول الله ﷺ « من هم بحسنة كتب الله له حسنة فان عملها كتبت له عشرها ومن هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإن عملها كتبت عليه سيئة فان تركها كتبت له حسنة يقول الله تعالى إنما تركها من مخافتى » هذا لفظ حديث مجاهد يعنى ابن موسى ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن الركين بن الربيع عن أبيه عن عمه فلان بن عميلة عن خريم بن فاتك الأسدي أن النبي ﷺ قال « إن الناس أربعة والأعمال ستة فالناس موسع له في الدنيا والآخرة وموسع له في الدنيا مقتور عليه في الآخرة ومقتور عليه في الدنيا موسع له في الآخرة وشقي في الدنيا والآخرة والأعمال موجبتان ومثل بمثل وعشرة أضعاف وسبعائة ضعف فاموجبتان من مات مسلما مؤمنا لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة ومن مات كافرا وجبت له النار ومن هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ومن عملها كتبت واحدة ولم تضاعف عليه ومن عمل حسنة كانت عليه بعشر أمثالها ومن أنفق نفقة في سبيل الله عز وجل كانت بسبعائة ضعف » ورواه الترمذي والنسائي من حديث الركين بن الربيع عن أبيه عن بشير بن عميلة عن خريم بن فاتك به ببعضه والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب بن المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحضر الجمعة ثلاثة نفر رجل حضرها بلغو فهو حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله فإن شاء أعطاه وإن شاء منعه ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهي كفارة له إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك لأن الله عز وجل يقول ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) » وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسحاق بن عمار حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها (١) وزيادة ثلاثة أيام وذلك لأن الله تعالى قال (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) » وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله » رواه الإمام أحمد وهذا لفظه والنسائي وابن ماجه والترمذي وزاد « فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) اليوم بعشرة أيام » ثم قال هذا حديث حسن وقال ابن مسعود (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) من جاء بلا إله إلا الله ومن جاء بالسيئة يقول بالشرك وهكذا جاء عن جماعة من السلف رضي الله عنهم أجمعين وقد ورد فيه حديث مرفوع الله أعلم بصحته لكني لم أروه من وجه يثبت والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا وفيما ذكر كفاية إن شاء الله وبه الثقة

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف (ديناً قيمياً) أي قائماً ثابتاً (ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) كقوله (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) وقوله (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم) وقوله (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين \* شاكراً لأنعمه

اجتباؤه وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين \* ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ) وليس يلزم من كونه ﷺ أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها لأنه عليه السلام قام بها قياماً عظيماً وأكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال ولهذا كان خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم على الإطلاق ، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل عليه السلام . وقد قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة أنبأنا سلمة بن كهيل سمعت ذر بن عبد الله الهمداني يحدث عن ابن أبيزى عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال « أصبحنا على ملة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأديان أحب إلى الله تعالى ؟ قال « الحنيفية السمحة » وقال أحمد أيضاً حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذقني على منكبه لأنظر إلى زفن الحبشة حتى كنت التي مللت فانصرفت عنه . قال عبد الرحمن عن أبيه قال : قال لي عروة إن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ « لتعلم يهود أن في ديننا فسحة إني أرسلت بحنيفية سمحة » أصل الحديث مخرج في الصحيحين والريادة لها شواهد من طرق عدة وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري والله الحمد والمنة ، وقوله تعالى ( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ) يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويدبجونه لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله تعالى ( فصل لربك وانحر ) أي أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويدبجونه لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والاقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى قال مجاهد في قوله ( إن صلاتي ونسكي ) النسك الذبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير ( ونسكي ) قال ذبحي وكذا قال السدي والضحاك ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أحمد بن خالد الذهبي حدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال ضحى رسول الله ﷺ في يوم عيد الحجر بكبشين وقال حين ذبحهما (١) « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » وقوله عز وجل ( وأنا أول المسلمين ) قال قادة أي من هذه الأمة وهو كما قال فان جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام وأصله عبادة الله وحده لا شريك له كما قال ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال لقومه ( فإن توليتم فأسألتكم من أجر إن أجرى على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ) وقال تعالى ( ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفتناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين \* إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين \* ووصى بها إبراهيم بنوه ويعقوب يابني إن الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن إلا وأتم مسلمون ) وقال يوسف عليه السلام ( رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ) وقال موسى ( يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين \* فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين \* ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ) وقال تعالى ( إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والرابانيون والأحبار ) الآية وقال تعالى ( وإذا أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ) فأخبر تعالى أنه بعث رسوله بالإسلام ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضاً إلى أن نسخت بشريعة محمد ﷺ التي لا تنسخ أبدأ الأبدية ولا تزال قائمة منصوره وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة ولهذا قال عليه السلام « نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » فإن أولاد العلات هم الإخوة

(١) في السكينة وجهها .

من أب واحد وأمها شتى فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات كما أن أخوة الأخياف عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباء شتى والأخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة والله أعلم وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله اللماشون حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كبر استفتح ثم قال « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من مشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين » إلى آخر الآية (١) « اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً لا يفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك » ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله في الركوع والسجود والتشهد وقد رواه مسلم في صحيحه

﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

يقول تعالى ( قل ) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في اخلاص العبادة له والتوكل عليه ( أغير الله ابني ربا ) أي أطلب ربا سواه ( وهو رب كل شيء ) يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري ، أي لا أتوكل إلا عليه ولا أنيب إلا إليه لأنه رب كل شيء ومليكه وله الخلق والأمر . ففي هذه الآية الأمر باخلاص التوكل كما تضمنت التي قبلها اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرا في القرآن كقوله تعالى مرشدا لعباده أن يقولوا له ( إياك نعبد وإياك نستعين ) وقوله ( فاعبده وتوكل عليه ) وقوله ( قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ) وقوله ( رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذنه كيلا ) وأشبه ذلك من الآيات . وقوله تعالى ( ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ) إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى كما قال ( وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قرابي ) وقوله تعالى ( فلا يخاف ظاهرا ولا هضما ) قال علماء التفسير : أي فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم بأن ينقص من حسنه وقال تعالى ( كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ) معناه كل نفس مرتبهة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين فإنه قد يعود بركة أعمالهم الصالحة على ذرياتهم وقراباتهم كما قال في سورة الطور ( والذين آمنوا واتبعهم ذرياتهم بإيمان ألقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ) أي ألقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال ، بل في أصل الإيمان ، وما ألتناهم أي نقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أُنقص منهم منزلة ، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم بفضله ومنته ثم قال ( كل امرئ بما كسب رهين ) أي من شر ، وقوله ( ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ) أي اعملوا على مكاتبتكم إنا عاملون على ما نحن عليه فستعرضون ونعرض عليه وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا كقوله ( قل لا تسألون عما أجرنا ولا نسال عما تعملون \* قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم )

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى ( وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ) أي جعلكم تعمرونها جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن وخلفا بعد سلف . قاله ابن زيد وغيره كقوله تعالى ( ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلقون ) وكقوله تعالى (١) كذا في النسخين الأميركية والمسكية والمراد إلى آخر الآية التي بعدهم وقد أثبتت الأخيرة في النسخة الأزهرية . فلم تذكر فيها هذه العبارة

( ويجعلكم خلفاء الأرض ) وقوله ( إني جاعل في الأرض خليفة ) وقوله ( عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ) وقوله ( ورفع بعضكم فوق بعض درجات ) أى فآوت بينكم في الأرزاق والأخلاق والمحسن والمساوى والمناظر والأشكال والألوان وله الحكمة في ذلك كقوله تعالى ( نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ) وقوله ( انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا )

وقوله تعالى ( ليلوكم فيما آتاكم ) أى ليختبركم في الذى أنعم به عليكم وامتحنكم به ليختبر الغنى في غناه ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صبره . وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الدنيا حاوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظر ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء » وقوله تعالى ( إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ) ترهيب وترغيب أن حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه وخالف رسله ( وإنه لغفور رحيم ) لمن والاه واتبع رسله فبما جاءوا به من خبر وطلب . وقال محمد بن إسحق ليرحم العباد على ما فهم رواه ابن أبي حاتم وكثيرا ما يقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين كقوله ( وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم \* وإن ربك لشديد العقاب ) وقوله ( نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم ) إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكأها وعذابها والقيامة وأهوالها وتارة بهما لينجع في كل بحسبه ، جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر ، وترك ما عنه نهى وزجر ، وصدقه فيما أخبر ، إنه قريب مجيب صميع الداء جواد كريم وهاب . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زهير عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنطأ أحد من الجنة خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون » ورواه النزمى عن قتبية عن عبد العزيز الدراوردى عن العلاء به وقال حسن ورواه مسلم عن يحيى ابن يحيى وقتبية وعلى بن حجر ثلاثهم عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضى » وعنه أيضا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » رواه مسلم - آخر تفسير سورة الأنعام والله الحمد والمنة

### ﴿ تفسير سورة الاعراف وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الْمصَّ \* كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ ذِي كُرَى الْمُؤْمِنِينَ \* أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

قد تقدم الكلام في أول سورة البقرة على ما يتعلق بالحروف وبسطه واختلاف الناس فيه ، قال ابن جرير حدثنا سفيان ابن وكيع حدثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس ( المص ) أنا الله أفصل وكذا قال سعيد بن جبير ( كتاب أنزل إليك ) أى هذا كتاب أنزل إليك أى من ربك ( فلا يكن في صدرك حرج منه ) قال مجاهد وقتادة والسدى شك منه وقيل لا تتحرج به في إبلاغه والانداز به ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ) ولهذا قال ( لتذكر به ) أى أنزلناه إليك لتذكر به الكافر بن ( وذكري المؤمنين ) ثم قال تعالى مخاطبا للعالم ( اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ) أى اقتفوا آثار النبي الأسمى الذى جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شىء ومليكه ( ولا تتبعوا من دونه أولياء ) أى لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره ( قليلا ما تذكرون )